

محمد وآله إله علمنا ربنا



الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم



الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩ - ١٩٣٧ ميلادية

www.abul-azayem.com

Version 1 / October, 2011

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذى جذب قلوب من أسمعه في البدء دعاءه إلى دار السلام سماع قبول، وشرح صدورهم في الكون للهجرة إليه لزيارته سبحانه في بيته ففازوا بالوصول. أسمعه في سيرهم أذان الخليل فلبوا مسرعين إلى بيت الخليل، دخلوا مقام إبراهيم آمنين، فأشهدهم سبحانه جماله العلى المبين، أحرموا تجرداً من محيط الكون الدنى، فأشهدهم الله ملكوته العلى، والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه وآله وورثته ومن والاه وبعد، فيقول خديم الفقراء محمد ماضى أبو العزائم:

الحمد لله الذى وفق وأعان، وأسبغ سوابغ فضله بالإحسان، وشرح صدرى للعزم على أن أتشرف بالدخول في مقام خليله على نبينا وعليه أتم السلام.
ولما أن يسر الله هذا المقصد العظيم، وشرح صدور كثير من أحبابى فقراء آل العزائم بالصحة في السفر، طمعاً في الفوز بقبول الله والإقبال منه سبحانه وتعالى علينا، بمناسبة أن الحج - بالجمعة - فأحببت أن أكتب رسالة في المناسك، مبينا فيها آداب السفر من خروج الحاج من بيته إلى أن يصل إلى مكة المشرفة، وأركان الحج وفضائله، مشيراً إلى حكم تلك الأركان والفرائض، ملمعاً إلى حج الروح بعد بيان حج الجسم، ليكون لنا بذلك حظ أوفر وقسط أعظم.

وإنى أسأل الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه، وأن ينفع بها أحبابنا في كل الجهات، وأن يصحبنا بالمعين الموفق الهادى الحفيظ السلام، قابل التوب وغافر الذنب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

الباب الأول

الحج وآدابه

تعريف الحج

الحج لغةً: القصد، ولا يقال حج إلا إذا قصد عظيمًا. وفي الاصطلاح: حضور بعرفة وطواف وسعى بعد إحرام، وهو الحجة القائمة للعبد على كمال إيمانه وتعظيمه للشريعة المطهرة، ومحبهته الخالصة لله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران ٩٧، فالحج فريضة يتعين على الفور متى توفرت الاستطاعة وخصوصاً إذا بلغ الستين من عمره.

الاستطاعة على الحج

الاستطاعة محصورة في الزاد والراحلة وأمن الطريق. وهى بحسب طالب الحج، فقد يكون الزاد حرفة أو صنعة، وقد تكون الراحلة عافية يمكنه بها المشى، وقد يكون أمن الطريق وجود الرفيق.

ومن كمل إيمانه فاشتاق إلى الحج ولم يستطيع، كان شوقه هذا دليلاً على محبته لله تعالى وكمال إيمانه، ومن استطاع وأخر الحج حتى مات فليمت على أى دين شاء، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران ٩٧.

وفي الخبر: (من لم يمنعه من الحج مرض قاطع أو سلطان جائر ومات ولم يحج فلا يبال

أمات يهودياً أم نصرانياً).

وقال عمر بن الخطاب: لقد هممت أن أكتب إلى الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلاً.

وعن سعيد بن جبير وغيره: لو علمت رجلاً غنياً وجب عليه الحج ومات قبل أن يحج ما صليت عليه.

وقال ابن عباس: (من مات ولم يترك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا. وكان تفسيره في هذه الآية: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٠٠﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ المؤمنين ٩٩ و١٠٠، قال أحج. ومثله ﴿يَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ المنافقون ١٠، قال أزكى وأحج.

آداب من عزم على الحج

- ١ - يجب عليه أن يجاهد نفسه في تجريد نيته من الشوب حتى ينوى بالحج وجه الله تعالى.
- ٢ - أن يحصل زاده ونفقته من حل، وأن تكون النفقة زائدة على من تجب عليه نفقتهم.
- ٣ - أن يكون طاهراً من الدّين ومن حقوق العباد.
- ٤ - يسن له أن يزور إخوانه قبل سفره ملتماً منهم الرضا والدعاء والعفو.
- ٥ - أن يحرص على صحبة الأتقياء أهل الورع من العلماء، خصوصاً في سفر الحج فإذا صحح نيته بلغ أمنيته.
- ٦ - يستحب له عند خروجه من داره ومفارقتة لأهله وأولاده أن يخرجهم من قلبه كما فارقهم بجسمه، تفريداً لله تعالى بالقصد دون غيره، حتى لا يشغله مال ولا أمل ولا ولد.
- ٧ - يستغرق كل أنفاسه من خروجه من بيته إلى أن يتم حجه في حضور مع الله، واستحضار للفوز بمقصده الأعظم الذي هو قبول الله عمله، وإقبال الله تعالى بوجه الكريم

عليه.

٨ - يعلم حق العلم أنه ما خرج لرياضة وتنزه ومشاهدة البر والبحر، ولكنه خرج ليقبل بكليته على الله ليزوره سبحانه في بيته، ليريه ملكوت السموات والأرض، بشهود الآيات في الكائنات، لأنه خرج ليدخل مقام إبراهيم عليه السلام حساً ومعنى.

ومن تفضل الله عليه بالدخول في المقام حساً ومعنى أشهده ملكوته الأعلى كما قال تعالى:
﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنعام ٧٥.

الفرض والواجب في الحج

لا فرق عند المالكية والشافعية والحنابلة بين الفرض والواجب في الحج: فالفرض ما لا يقبل الحج إلا به فيبطل بتركه. أما الواجب فهو الذي يجبر بالدم إذا ترك ولا يبطل الحج بتركه.

الباب الثاني

أركان الحج

الركن الأول: الإحرام

ميقات الإحرام المكانى

ميقات الحج والعمرة المكانى للمدينة وما والاها (ذو الحليفة) وللشام وما والاها (المحفة).

ومن سافر بالبحر من مصر وما والاها فميقاته (رابغ).

وميقات اليمن وما والاها (يلملم) وميقات العراق وما والاها (ذات عرق).

وميقات نجد وما والاها (قرن).

ميقات الإحرام الزمانى

الإحرام كناية عن أن يحرم من وجد في حرم الله من المقبلين على بيته، ما لا يليق بأدب من أقبل على الله في حرمه، قال سبحانه وتعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ البقرة ١٩٧، وهى شوال وذو القعدة وثلاثة عشر من ذى الحجة على أرجح الأقوال ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ البقرة ١٩٧.

الرفث اسم جامع لكل لغو وخنى وفجر من الكلام ومغازلة للنساء ومداعبتهن، والتحدث في شأن الجماع.

والفسوق جمع فسق وهو اسم جامع لكل خروج من طاعة، ولكل تعدى حد من حدود

الله تعالى.

والجدال وصف مبالغ للخصومة والمرء فيما يورث الضغائن وفيما لا نفع فيه.

تعريف الإحرام

الإحرام هو تحريم الحاج عمل ما لا يباح له شرعاً، بمجرد دخوله في ميقات الإحرام فإنه عاهد الله تعالى أن لا يرفث ولا يفسق ولا يجادل ولا يصطاد، وأن يتجرد من المحيط والمخيط، وأن يحضر بقلبه حتى يصغى إلى دعاء الله تعالى فيلبيه، فلا يغفل عن ذكر الله ولا ينساه سبحانه.

والإحرام كتكبيرة الإحرام التي يحرم بها على المصلى ما يبطل الصلاة أو ينقصها تعظيماً لله تعالى ولشعائره.

تفصيل مجمل الإحرام

الفرض في الإحرام هو النية التي يتعين بها المقصد، ويسمى في اصطلاح الفقهاء بالإهلال، ولا يلزم النطق بها لأن محلها القلب، ومن ترك النية فلا حج له، والغسل للإحرام سنة، وصلاة الركعتين سنة، والتجرد من المحيط والمخيط واجب، وكشف الرأس واجب، والتلبية واجبة، وتجديد التلبية للمقتضيات سنة: كاليقظة من النوم، والصعود والهبوط، وعند ملاقة الرفاق، وبعد السلام من الصلاة. فمن تركها زمنياً طويلاً فعليه دم.

إحرام الصبي والمجنون

يحرم عنهما الولي أباً أو وصياً ويجردهما قرب الحرم، والأولى أن يكون في التنعيم عند مساجد عائشة.

لباس المحرم

لا يلبس المحرم قميصا ولا عمامة ولا سراويل، ويحرم عليه ما فوق ذلك من قفطان وجبة، ولباسه إزار يستر به من السرة إلى أسفل الركبة، وكساء يستر به من كتفه إلى أسفل الإزار، ويكشف رأسه، والرأس تبتدئ من الشعر النازل منها على الصدغين إلى منتهى منابت الشعر من العنق ومن منابت الشعر من مقدم الرأس إلى منتهى الرأس من الخلف، فلو ستر وجهه بعد ذلك لا شيء عليه.

وأكمل الألوان الأبيض، والمكروه اللون الزعفراني والورس، وترك غسل ثياب الإحرام أولى خوفا من قتل الحيوانات بها، ولا بأس بتغييرها عند الضرورة، وكلما كان المحرم تفت الثياب والجسم كلما كان أجمل عند الله تعالى، والتفت الأوساخ. قال الله تعالى: (الحج ٢٩ وقضاء التفت تقليم الظفر وتقصير الشعر ونتف الإبط وإزالة الأوساخ البدنية، لأن المحرم مقبل على الله تعالى متجمل بحلة المسكنة والخشية والفقير والاضطرار أمام ربه، ليكون مقبولا لديه سبحانه، فالأجمل به عدم العناية بالنظافة والترف والخيلاء، ويلبس نعلين من نعال أهل البادية، فإن لم يجدهما لبس نعلين من النعال التي يلبسها المصريون على فراشهم (الشباشب).

آداب الإحرام

والمحرم يبتدئ بالغسل، وصلاة ركعتين، والنية، وهي تعيين حج أو عمرة أو جمع بين الحج والعمرة وهي النية.

ثم يتجرد من المحيط والمخيط، بعد تقليم ظفره ونتف إبطه، وحلق عانته وحلق الرأس إن كان ممن اعتاده ولم يضره، وإن لم يكن معتادا لبد شعر رأسه بما اعتاده الناس إن خاف

ضراً.

ثم يهل مُلبياً عقب الصلاة المفروضة، أو عقب ركعتين، وإن أخر إحرامه للعصر عدل التلبية عقب صلاة العصر، خشية من أن يؤخر الإحرام فيقع في كراهية صلاة الركعتين التي يكون الإهلال بعدهما، ويلبى بما أحب أن يلبي به، والأولى أن يلبي بتلبية رسول الله ﷺ ولفظها: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).

ولا يجوز المحل داخلاً في الحرم إلا مُحرمًا، ملاحظاً أنه دخل في حرم الله الذي ميقاته لمصر وما والاها (رابع) في البحر، فيتجرد جسماً وروحاً إعظاماً وإجلالاً لله تعالى ولحرمه الشريف، واقتداء بعمل الحبيب المحبوب ﷺ حتى يكون حاجاً حقاً عزمًا وصدقًا، ويديم التلبية عقب الصلوات وعند تغيير الشئون من صعود أو نزول، بصوت متوسط لا يحصل له منه الضرر، لا خافتاً ولا جاهراً به جهراً يؤلم.

تجدد التلبية

يديم التلبية كما قررنا حتى يدخل الحرم، فيشتغل بالطواف ويترك التلبية حتى يتم الطواف والسعى ثم يعود للتلبية بعد زوال يوم عرفة، فإن وصل عرفة قبل الزوال لبي حتى يصلى الظهر، وإن زالت عليه الشمس قبل وصوله لَبَّى حتى يصلى وترك التلبية اشتغالاً بالدعاء والتضرع والابتهاال. والمهل بالعمرة يلبي إلى الحرم ثم يتركها.

دخول مكة

يتعين الإحرام على الداخل مكة من الآفاقيين إذا دخلها لنسك من حج أو عمرة، ويحرم

من دخلها لحاجة غير النسك ما لم يكن ممن يترددون عليها لبيع الخضر والحطب وغيره من البلاد القريبة منها كالطائف وجدة وقديد فإنهم لا يطالبون بالإحرام، ومن خرج من مكة لبلد أخرى فلم يتمكن من الوصول إليها ورجع إليها يدخل حلالاً كما فعل سيدنا عبد الله بن عمر رضی الله عنهما. والأولى أن يدخل الإنسان مكة من (كداء) خصوصاً إذا قدم من طريق المدينة، وله أن يدخل مكة من أى باب شاء.

ولما كان الحاج في الحقيقة إنما يقصد الله تعالى ليزوره في بيته وكان البيت مقام الخليل الجسماني، والخلة مقامه الروحاني، فمن قصد الله تعالى حجاً ورغب أن يدخل مقام الخليل جسماً وروحاً، لزمه لدخول المقام الجسماني أن يحرم بالزهد في لذته وشهوته، وأن يتجرد من محيط الثياب ومخيطها، كما يتجرد الميت للغسل، ويلبس ثياب الإحرام المشيرة إلى كفن الميت، ويمتنع عن الصيد، ويجاهد جميع جوارحه حتى تخضع لسلطان الشريعة، فيحرم على نفسه في الحج ما أباحتها الشريعة له في غيره، ويتم الحج حتى يؤهل كما بينت في هذه الرسالة للدخول في مقامه الجسماني.

ولدخول في مقامه الروحاني يحرم بتوديع حظه وهواه، وبزهده في الاجتماعات على غير الله تعالى، وتفريده الله تعالى بالقصد دون سواه، ويتم الحج كما يأتي حتى يسعد بالدخول في مقامه الروحاني، ومن قصد الله تعالى حجاً يحرم بالتبرئة من حوله وقوته، ومن الغرض والمرض والعلة، ومن قصد الله من الأفراد المحبوبين يفرده الله تعالى، ومن أفرده الله جملة بجمال العبادة الخالصة لوجهه الجميل سبحانه، وأشهده في بيته جماله العلي، وبهاءه وضيائه ونوره، ولديها يرى البيت وربّه، وهو الحج الأكبر، قال سيدنا عبد الله بن عمر: (كنا نترأى ربنا ليلة عرفة) ومن نظر إلى جمال الملكوت، أو إلى جمال الملك في الإحرام، الذي يحج الله تعالى فيه قصداً فتن.

والإحرام بينا مكانه فيما سبق، إلا أن مكانه لمكى ولقيم بها بالحج للحج بيته والأولى الحرم، وللعمره الحل، ولمن أحرم بحج وعمرة الأولى له أن يحرم من الحل وتقدم ميقات الحج

والعمرة للآفاقيين.

دخول الحائض مكة

تدخل الحائض مكة ولكن لا تطوف ولا تسعى حتى تطهر وإن كانت الطهارة ليست شرطاً في السعي، ولكن السعي متوقف على الطواف والطواف متوقف على الطهارة، والمرأة إذا حاضت بمكة قبل العمرة أو حاضت قبل دخول مكة لها أن تنقض رأسها وتمشط وتهل بالحج.

بسند مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: (خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع، فأهللنا بعمرة ثم قال ﷺ: من كان معه هدى فليهل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعاً. قالت: فقدمت مكة وأنا حائض فلم أطف بالبیت ولا بين الصفا والمروة، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: انقضى رأسك أو تمشطى وأهلى بالحج ودعى العمرة. قالت: ففعلت، فلما قضيت الحج أرسلنى رسول الله ﷺ مع عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق إلى التنعيم)، وظاهر ذلك استبدال الحج بالعمرة ولم يكن ذلك معهوداً.

وقد تأوله الإمام الشافعى رضى الله عنه بأن مراد رسول الله ﷺ أن تردف الحج على العمرة، ثم تعتمر بعد الحج بدليل خروجها مع أخيها رضى الله عنهما إلى التنعيم للإحرام بالعمرة، والمعهود استبدال الحج بالعمرة كما حصل فى حجة الوداع لكثير من الصحابة رضى الله عنهم وعنا بهم آمين.

قال رضى الله عنه وأرضاه:

أَحْبُّ بِالرُّوحِ لِلْمَجْلَى وَأَشْوَاقِي
إِلَى مَقَامٍ بِهِ الْآيَاتُ مَشْرُقَةٌ
بَيْتٌ هُوَ الْوَجْهَةُ الْعَظْمَى لِمَنْ وَقَفُوا
رَمَزٌ لِمَعْنَى خَفِيٍّ قَدْ يَلُوحُ لِمَنْ
أَطُوفُ سَبْعاً بِهَا الْأَسْرَارُ تُظْهِرُ لِي
رُوحِي تَفَرُّ إِلَى الْمَجْلَى وَتَقْصِدُهَا
لَا يَنْتَهَى الشُّوقُ مِنْ رُوحِي وَلَوْ ظَهَرَتْ
وَالْجِسْمُ يَشْتَاقُ لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَلَا
يَا أَيُّهَا الرُّوحُ فِي الْأَعْلَى الْجَمَالَ بَدَا
مَاذَا الْهَيْامُ أْبَعَدَ الْحَسَنِ لِي طَلَبٌ
الْحَسَنُ هَيَّجَ أَشْوَاقِي وَأَهْلَنِي
إِلَى الْفَنَاءِ فِيهِ عَنِ نَوْرِ وَعَنْ أَثَرِ
لَا النُّورُ يَشْغَلُنِي عَنْهُ وَيُحْجِبُنِي
حَجَّتِي لَهُ بَعْدَ مَحْوِي فِيهِ عَنِّي بَلْ
هَذَا هُوَ الْحُجُّ فِيهِ الْإِتْحَادُ حَلَاً
يَا هَيْكَلِي ذَاكَ حُجُّ الرُّوحِ بُغْيَتُهَا
فَحِجٌّ مِنْ بَعْدِ حُجِّ الرُّوحِ تَشْهَدُهُ

تنمو إلى البيتِ في حيطات آفاقي
لمن به طافَ قد تُرأى بأحداقي
بالجسمِ في موقفِ الأَوَاهِ والرَّاقِي
فُكَّتْ طَلَّاسِمُهُ بِمُدَامَةِ السَّاقِي
معنى الصفاتِ بنورِ الخالقِ الباقي
وهيكلِي فَرَّ لِلْمَبْنَى بِأَشْوَاقِي
شمسُ التجلى بِإِمْدَادِ وإشفاقِ
يزولُ شوقِي وَتَحْنَانِي لِخَلَّاقِي
عَنِ الْجَمِيلِ مُضِيئاً كُلَّ آفَاقِي
الحسنُ رزقٌ وَقَصْدِي مِنْهُ رَزَاقِي
إِلَى شَهْودِ بِلَا كَيْفٍ وَأَحْدَاقِي
إِلَى الْبَقَاءِ بِهِ بِجَمَالِهِ الْبَاقِي
وَلَا التَّجَلَّى وَلَا أَنْسَى وَإِغْرَاقِي
بَعْدَ انْمَحَى رَسْمِي الْأَدْنَى وَآفَاقِي
وَنَقْطَةُ الْغَيْنِ مُحِيتٌ بِاجْتِبَاءِ الْوَاقِي
وَأَنْتَ حُجُّكَ بِالْمَبْنَى لِإِغْدَاقِي
فِي بَيْتِ خُلَّتِهِ مِنْ غَيْرِ آمَاقِي

من المضمون

في الغسل

إنما سن الغسل هنا ليتطهر المحرم من عوائده التي اقتضتها حياته الاجتماعية بين إخوانه، لأنه مسافر من الملك إلى الملكوت لتكون له مجانسة بالعالم العلوى، تجعله يدخل في مقام الخليل عليه الصلاة والسلام الروحاني بمفارقتة لمآلوفاته وعوائده، ومن لم يفارق بغسله ما اعتاده مما يلائمه لم يلحظ بفكره جانب الملكوت الأعلى، ولم يسح بنفسه في رياض حكمة أحكام الشريعة المطهرة.

في الإهلال

وإنما وجب الإهلال والتلبية بعد صلاة مكتوبة أو غير مكتوبة ليرتقى من مقام العبودية والطلب إلى مقام العبدية والمطلوبية، فيصلى طالباً لله تعالى، فإذا أتم صلاته طلبه الله تعالى ودعاه إلى حضرته، فسمعت أذن روحه فلبى سامعاً أو مستحضرًا.

في التلبية

وإنما وجبت التلبية وإن كانت المشاهد روحانية ليقظة القلب لحكمة التلبية، التي هي إجابة الداعي. وإن لم تصغ أذن روحه لمن دعاه سبحانه، استحضر أنها إجابة لأذان الخليل عليه الصلاة والسلام بالحج، أو تصديق برسول الله ﷺ واقتداء به في عمله، ومن قصرت به روحه عن أن تحضر معه فتحضره، على نفسه فليبك، وليتطهر من رجس الحيوانية ونجاسة النفس الإبلسية، وقاذورات الهمم واللمم الإنسانية حتى يتجلى له ربه جل جلاله فيكشف له الحجاب عن جماله العلى، ويشهد أنوار آياته في هذا الكون الدنى ليفقه حكمة الأحكام،

أو يحتسى من طهور هذا المدام.

في التجريد من المحيط والمخيط

وإنما وجب على المحرم التجريد من المحيط والمخيط حتى يتمثل أنه ميت أدراج في كفه فارق الحس الذى يشغل قلبه بالكائنات، فإما أن يكون محل نظره آيات الله تعالى، أو يحيطه الله بنور وجهه كما قال سبحانه: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ البقرة ١١٥، فلا يرى تجاهه إلا آيات الله تعالى أو جمال وجه العلى، ومن لم يتجرد من الحياة الحيوانية بتجرده من المحيط والمخيط ليحيا حياة روحانية لم ير ملكوت ربه، وهو إنما خرج حاجاً ليدخل في مقام إبراهيم الروحانى بدخوله في مقامه الجسمانى، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُوْنَ مِنَ الْمُوقِنِيْنَ﴾ الأنعام ٧٥ .

في دخول البيت

فالكعبة مقام الخليل الجسمانى والخلوة مقامه الروحانى، وأقل مشاهد أهل الخلة شهود ملكوت الله الأعلى، وأعظم مشاهدهم شهود رب البيت في بيته. ومن حرم شهود الملكوت لم يظفر بشهود صاحب البيت في بيته، وبدخوله في مقام الخليل الجسمانى سقطت عنه المطالبة بحجة الشرعية، ولكنه حرم ما تسارع إليه أرواح الصديقين. والحج إشارة إلى السير إلى الله تعالى.

قال رضى الله عنه وأرضاه:

على الله بالحقّ اليقين توكلتُ
أنبتُ إليه موقنا متحققا
وتبتُ إلى الله العظيم وإننى
بذلك قلبى مطمئنٌ وكيف لا
هدانى إلهى بالقرآنِ تلوتهُ
تجلّتْ لى الأنوارُ فى كل آيةٍ
تجدتُ من سورٍ محيطٍ أنا به
حوالى مَقامِ خليله فى توجّهى
وحال الوفا ما بين جمعِ لى الصفا
تراءى لعين القلب سرُّ معالمٍ
وقفتُ وكان الجمعُ مشهدَ باطنى
على عرفاتٍ والتجلى مُشاهدُ
فقهتُ نعمَ تسبيحِ نفسى وغيرها
فأحيا معالمى نفرتُ إلى منى
فصلّى على الله فضلا ومنّةً
وصلت ملائكةَ السماء بأمره
فأخرجنى من ظلمِ نفسى وظلمتى
رَمَيْتُ حظوظى جمرَةَ الشُّحِّ والهوى
بسبعِ هى الأعضاء رَمَى براءةٍ
وودعت نفسى بالإفاضة راغباً
وهذا نعمٌ حجٌّ به الوجهُ نورُه
أيا ظاهراً للقاصدين جنابهُ

وأمرى إليه بالعزيمة فَوَضْتُ
بنيل الرضا وإليه وجهى وَجَّهْتُ
إلى الله ظهري بالإنابة أسندتُ
وبالآيِ آى الذكرِ بالصدقِ أيقنتُ
بالفضلِ آيَ بشائرِ الذكرِ رتلْتُ
فَرَرْتُ بها منى وللحقِ أحرمتُ
خلعتُ مخيطاً فى طوافى وهرولتُ
دُعِيتُ له وبه سمعتُ فلبيتُ
وفرقٍ بمروةٍ سورٍ مبناه آمنتُ
على عرفاتِ النفسِ بالحقِّ أيقنتُ
وظاهريَ الفرقُ الذى منه نُؤلتُ
وقفتُ ونفسى قد عرفتُ فَسَبَّحْتُ
ولولا وقوفى فوقَ عرفاتٍ حُجِّبتُ
وفيها بجمعِ الجمعِ فرضى صليتُ
صلاةً بها من ظلمةِ الحِسِّ أُخْرِجْتُ
فأشرقَ نورُ الوجهِ فى حيثُ وليتُ
إلى نوره الأعلى عليه توكلتُ
وجمرةِ آمالى وما كنتُ أخفيتُ
إلى الله من حَوْلِى ولله أسلمتُ
إلى الله مضطراً إليه وهرولتُ
مخيطٌ محاً وَجَّهى التى كنتُ عاينتُ
تَفَضَّلُ بفضلكِ إننى ربِّ قد تبتُ

وأنت غفورٌ قابلُ التوبِ سيدى
وصلَّ على الرَّؤفِ الرحيمِ محمدٍ

وقال رضى الله عنه وأرضاه:

بفضلِكَ والرضوانِ ياربِ أيقنتُ
حبيبي مرادى من بجدِّواهُ أُسعدتُ

رُوحى تحجُّ لبيته المعمورِ
والسرُّ نفخةٌ قدسيه حجَّتْ إلى
أسعى إلى عرفاتٍ معرفتى به
أفنى لدى كشفِ الحجابِ مُواجهاً
أرمى جمارَ الحظِّ عنى مُسرِعاً

وقال رضى الله عنه وأرضاه:

والجسمُ يُشهدُ فوقَ رسمِ الطُّورِ
مجلى كمالِ الذاتِ حالَ ظُهُورى
حتى أحاطَ بوجهه والنورِ
بالوجهِ مشهوداً بغيرِ سُتورِ
للبيتِ بيتِ جماله المشهورِ

منى أسافرُ لا من كونى الدانى
وجهتُ وجهى إلى الله العليِّ ولي
قلبي يرى فى مقامِ خليلِ حضرته
رُوحى تشاهدُ ربَّ البيتِ جل علا

وقال رضى الله عنه وأرضاه:

أفردتُ ربِّي لا حورٍ وولداني
شوقٌ عظيمٌ إلى فضلٍ ورضوانِ
أنوارٍ مقتدرٍ برٍّ ودَيانِ
يُعطي جمالَ العطاءِ بجميلِ إحسانِ

تنقلتُ للبيتِ العتيقِ وإحرامى
تجردتُ من رسمى ومقتضياتهِ
فُروحي تلبى داعيَ الحقِ راغباً
ألبى إلى أن تدخلَ الرُّوحُ بالصفَا

يشيرُ إلى التجريدِ لله إسلامى
ألبى مجيباً معلناً بكلامى
أتابعُ فردَ الذاتِ وهو إمامى
مقامَ خليلِ الله دارَ سلامى

هى الوجهة العظيمة وخير مقام
دواعى العناصر رتبة الأجسام
بجسمى طوافي يوجب استسلامي
وجسمى فى التكليف والإحرام
وأسعى بهيأنى ونار غرامى
تجلى على بمنعم علام
بعرفة عرفانى بمحو ظلامى
مقامات زلفى الازدلاف السامى
رمىت جمار الحجب والأوهام
فكنت بلا كون وصح مقامى
وروحى لقد لثمت رشفت مدامى
يميناً وألثم رمزه الإعظام
تقبله روحى بصحة إسلام
لأن شهود الروح فيه دوامى
إلى طور ميقاتى يلذ هيامى
يبدلها ربى بفضل وإكرام
فأشهد نور تنزل بغمام
أفر إليه دائماً إحرامى
وفى (أينما) التحقيق نلت مرامى

أبى إلى أن أشهد الكعبة التى
يصح اتصالى بعد هجرى لمقتضى
فأدخل فى قربى مقام خليله
مقامان روحى فى مقام شهودها
أطوف حوالى كعبة الروح واجداً
وحجى حج أكبر شمس يومه
ولى وقفة من فوق طور حقيقتى
وقفت فلاح النور يجذبنى إلى
وفى جمع قد صح جمعى وقربتى
وقربان تقربى وجودى نحرته
جذبت بداعى الحب والشوق قائدى
تقبل روحى فى صفاء شهودها
فمن قبل الرمز الجلى ونوره
أقبل حجراً أسعداً لا مودعاً
ومنى أسعى للصفاء مهرولاً
أتم به سبعا رموز حقائقى
يظللنى فضلاً بظل جماله
لديها يفتك الرمز عن كنز غيبه
ولم أخلع الإحرام والوجه وجهتى

الركن الثاني: الطواف

تعريف الطواف

الطواف لغة: الدوران، وله معان كثيرة. واصطلاحاً: المشى حول الكعبة بشروط مخصوصة.

كيفية الطواف

تقدم أن الطواف هو الدوران حول الكعبة مبتدأً من الحجر الأسود إليه سبعة أشواط، يفتتح من الحجر ويختم به، فيقبله إن أمكنه، ويستلمه بيده ويكبر إن لم يتمكن من الاستلام إذا حاذاه كراهية أن يؤذى الطائفين معه، قال رسول الله ﷺ لعمر: (يا أبا حفص إنك رجل قوى، فلا تُزاحم على الركن فإنك تؤذى الضعيف، ولكن إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا كبر وأمض) رواه الشافعي وأحمد وغيرهما وهو حديث مرسل قوى الإسناد. وإذا تمكن الطائف استلم الحجر وقبله.

وفي حديث البخارى: سأل رجل ابن عمر رضى الله عنهما عن استلام الحجر فقال: (رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله، قلت: رأيت إن زوحت؟ رأيت أن غولبت؟ قال ابن عمر: اجعل رأيت باليمنى، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله)، وكلام الإمام عمر يدل على المزاحمة لتقبيل الحجر أو استلامه وذلك لا يخالف ما سبق، لأن سيدنا الإمام ابن عمر رضى الله عنهما له شهود في هذا المقام، لا يجعل له صبراً عن تقبيل الحجر الأسود.

وقد روى سعيد بن منصور عن القاسم بن محمد قال: رأيت ابن عمر يزاحم على الركن حتى يرمى، فقيل له في ذلك قال: هويت الأفتدة إليه فأريد أن يكون فؤادى معهم، وهذا

دليل على شهود ابن عمر رضى الله عنهما يمين ربه ظاهرة لعيون روجه بدليل قوله: هويت الأفتدة إليه فأريد أن يكون فؤادى معهم. فالمسألة روحانية لا جسمانية، وعمله رضى الله عنه حجة لأهل الوجد الصادق من المواجهين بوجه الله العلى، والإمام ابن عمر رضى الله عنها أكمل الناس خشية من الله وأدباً مع الله سبحانه ومع خلقه، وإذا اصطنع الله العبد أفناه عن حسه ونفسه.

الأركان التى تُستلم فى الطواف

قال مالك ابن أنس بسنده عن هاشم بن عروة: إن أباه كان إذا طاف بالبيت استلم الأركان كلها، وكان لا يدع اليانى إلا أن يغلب عليه فيكبر ويمضى. هذا وكان أخوه عبد الله يستلمها كما علقه البخارى ورواه ابن أبى شيبه، عن عبادة بن عبد الله ابن خضر أنه رأى أباه يستلم الأركان كلها وقال: إنه ليس منه شىء مهجور، وعورض بعمل رسول الله ﷺ، وجمع بين عمل رسول الله ﷺ وآل الزبير ما قاله ابن عمر رضى الله عنها: أنها ترك ﷺ الركنين الشاميين، لأن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم عليه السلام فلما أتمه ابن الزبير رضى الله عنها خرج إلى التنعيم واعتمر وطاف بالبيت واستلم الأركان الأربعة واستلم الطائفون بعد تمامه الأركان جميعها حتى قتل ابن الزبير.

والجمهور أخذوا بحديث ابن عمر وعمله من أنه لا يستلم إلا الأسود والياني وقد روى عن بعض الصحابة اسلامها جميعاً، وقد أجاب الإمام الشافعى بأننا لم ندع استلامها هجراً للبيت، وكيف يهجره وهو يطوف به؟ ولكننا نتبع السنة فعلاً أو تركاً والأمر واسع للاختلاف فيه، والأولى الوقوف عند عمل رسول الله ﷺ، ما لم يشهد الطائف بالبيت سواطع أنوار الحضور مع رب البيت سبحانه.

طواف الحائض

إذا حاضت المرأة يوم عرفة بعد رمى العقبة والطواف، تتم المناسك وترجع إلى أهلها ولا شىء عليها، كما حصل لأم المؤمنين السيدة صفية رضی الله عنها. فإن حاضت بعد العقبة قبل الطواف أو قبل العقبة بمزدلفة أو فوق عرفة، أدت جميع أركان الحج وعليها أن تمكث حتى تطهر وتطوف، لذلك يتعين على المرأة بعد رمى العقبة أن تسرع إلى الطواف خشية حصول الحيض، وكان النساء يتعجلن الطواف بعد العقبة تحفظاً منه.

تقبيل الحجر الأسود في الاستلام

بسند مالك رضی الله عنه في الموطأ أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال وهو يطوف بالبيت للركن الأسود: (إنما أنت حجر، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلُك ما قبلتُك) ثم قبَّله رضی الله عنه.

لخطاب أمير المؤمنين الحجر إشارة غريبة، بينها قوله ﷺ: (إن منكم مُحدِّثين وإن عمرَ مِنْهُمْ) وقول سيدنا موسى عليه السلام للحجر: (توبى يا حجر) عندما وضع ثوبه عليه ونزل البحر ليغتسل فأخذ الحجر الثوب وأبعد. وكلامه ﷺ مع قتلى بدر وهم في البئر، فعمر رضی الله عنه محدث يسمع من كل شىء ويخاطب كل شىء. ونقل عن الإمام أحمد: لا بأس بتقبيل منبر النبي ﷺ وقبره ﷺ. ونقل عن أبى الصيف جواز تقبيل المصحف وقبور الصالحين، واستنبط بعض أهل العلم جواز تقبيل من يستحق التعظيم من آدمى وغيره، شكراً لله تعالى على ما أنعم، وتعظيماً له سبحانه وتعالى في ذات من عظمه سبحانه بعلم أو بتقوى أو بولاية أو بفضيلة.

وما ورد من معارضة سيدنا على عليه السلام لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب بقوله: (إن

الحجرَ ينفَعُ ويضُرُّ لأنه يشهد لمن استَلَمَه) فليست معارضة، فإن سيدنا عمر يقول: لا ينفَعُ بنفسه، وسيدنا علي يقول: ينفَعُ ويضُرُّ بإذن الله تعالى.

السهو في الطواف

إذا سها الطائف عن العدد حتى زاد أو نقص، فإن ثبتت الزيادة قطع وصلى، وإن تحقق النقص أتم. وإن تردد بنى على الأقل كالصلاة ولا شىء عليه في ذلك كله، ولا يحسب الزيادة المتحققة من سبع آخر. وجوز قرن الأسبوعين بعض العلماء وجعله خلاف الأولى، وقد أورد ابن السماك بسند ضعيف عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ طاف ثلاثة أسابيع جميعاً ثم أتى المقام فصلى خلفه ست ركعات، يسلم من كل ركعتين، ولو صح فإنه لبيان الجواز.

ركعتا الطواف

معلوم أن تحية مكة الطواف، والطواف إما أن يكون سنة أو واجباً أو فريضة، فهو سنة لمن أهل بالعمرة، وواجب على من أهل بالحج أو أردف الحج على العمرة، فإنه يجب عليه دخول مكة لتأدية فريضة السعى، والسعى لا يقع فريضة إلا بعد طواف واجب، والسعى يقدم على المحذور بعرفة إلا لضرورة كخوف فوات الحج فإنه يؤخر.

ركعتا الطواف بعد تمام الطواف والدعاء بعده بما أحب، وفيه يبتدئ بالركعتين وصلاتها واجبة (لكل أسبوع تام) وتسن صلاتها عند المقام، قال مالك في الموطأ عن هاشم بن عروة عن أبيه أنه كان لا يجمع بين (السَّبْعَيْنِ) لا يصلى بينهما ركعتين ولكنه كان يصلى بعد كل سبع ركعتين وربما صلى عند المقام أو غيره (والسبع) أن يطوف بالكعبة سبع طوافات، والسنة أن يصلى الطائف لكل سبع ركعتين فلا يجمع بين سبعين ويصلى لهما بعد تمامها ركعتين لأنه ليس

من السنة.

من سها في العدد بعد صلاة الركعتين

من سها في العدد بعد صلاة الركعتين، رجع إلى اليقين فأتى طوافه وصلى الركعتين، لأنه لا يعتد بهما قبل إتمام الطواف لأن الطواف كالصلاة كما تقدم، ومن أحدث في طوافه أو بعده قبل صلاة الركعتين، أعاد الطواف كله ولا يبني وصلى الركعتين، بخلاف السعي بين الصفا والمروة فإنه يجب الوضوء قبله ولا يضر الحدث في حال السعي.

ومن طاف بعد الصبح أو بعد العصر، أخر صلاة الركعتين إلى وقت حل النافلة، وقد طاف عمر بن الخطاب بعد صلاة الصبح طواف الوداع، ثم نظر فلم ير الشمس فخرج من غير صلاة، ثم ركب راحلته ونزل (بذى طوى) صلى الركعتين رضى الله عنه. وكان ابن عباس رضى الله عنه يصلى الصبح ويطوف ويدخل حجرته من غير صلاة الركعتين.

ولا يجوز لمن أحب الطواف بعد صلاة الصبح أو بعد صلاة العصر أن يطوف إلا أسبوعاً واحداً، لا يزيد عليه لكراهية جمع أسبوعين فأكثر قبل صلاة ركعتين متصلة به ولا يطوف إلا بعد أن يصلحها بعد حلول النافلة صباحاً أو غروباً، وصلاة الركعتين قبل المغرب سنة عمل بها الصحابة وقد ورد فيها أحاديث كثيرة، قال مالك بن أنس: ومن طاف بالبيت بعض أسبوعه، ثم أقيمت صلاة الصبح أو صلاة العصر فإنه يقطع وجوباً ويستحب كمال الشوط ويصلى مع الإمام، ثم يبني على ما طاف فيتمه حتى يكمل سبعا، ثم لا يصلى ركعتيه حتى تطلع الشمس وترتفع قيد رمح، أو حتى تغرب فيصلحها قبل صلاة المغرب، قال: وإن أخرهما حتى المغرب فلا بأس بذلك وهذا كلام مالك في الموطأ مع تصريحه في البيان.

أنواع الطواف

أولاً - طواف القدوم

قدمنا أن الإنسان يدخل مكة من طوى ويغتسل من بئرها، وإذا قرب من مكة يدخل نهاراً من (كدا) طريق بين جبلين يهبط على المقبرة الشهيرة بروضة أم المؤمنين السيدة خديجة عليها السلام.

ثانياً - طواف الإفاضة

ويسمى طواف الزيارة، وقد تقدم الكلام عليه في ذكر الطواف، ولكن نورد ما لا بد منه، وعن مالك عن نافع وعبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر: أن عمر بن الخطاب خطب الناس بعرفة وعلمهم أمر الحاج، وقال لهم فيما قال: (إذا جئتم منى فمن رمى الجمرة فقد حل له ما حرم على الحاج، إلا النساء والصيد والطيب حتى يطوف بالبيت) ويعنى طواف الإفاضة، فالطيب حرام، وقد ورد عن مالك أن الطيب مكروه وورد عن الشافعى وغيره أن الذى يحرم النساء فقط.

وقت طواف الإفاضة والرمى

وقت طواف الإفاضة بعد طلوع الفجر من يوم النحر فلا يصح تقديمه على الفجر، وكذلك جمرة العقبة وقتها بعد طلوع فجر يوم النحر، ووجب تقديم جمرة العقبة على الحلق وعلى طواف الإفاضة، ووجب تقديم الرمى على طواف الإفاضة، فمن حلق أو طاف قبل الرمى فعليه فدية، وما عدا ذلك فالأمر فيه واسع، فمن ذبح قبل الحلق أو حلق وذبح قبل الإفاضة فلا شىء عليه ما دام رمى.

وعمل يوم النحر أربعة بالترتيب: الرمي، فالنحر، فالحلق، فالإفاضة. ومن قدم شيئاً منها قبل الرمي فعليه دم، وهذا معنى حديث: (ما سئل رسول الله ﷺ عن شيء قدم أو أخر إلا قال: افعل ولا حرج) وندب الطواف في ثوبى الإحرام. وكل حصة واجبة فمن أخرها عن وقتها فعليه دم، فمن أخر الحلق حتى قرب من بلده، أو أخرها إلى غروب اليوم الثالث بعد يوم النحر قيل: عليه فدية لقضائه في غير أيام الرمي والحلق، كما لو أخر طواف الزيارة (الإفاضة) للمحرم، فعليه فدية لفعل الركن في غير أشهر الحج، ولو أخر حصة إلى غروب اليوم الثالث بعد اليوم النحر فعليه فدية لحصاة أو أكثر، ومن ترك الرمي إلى قبل غروب اليوم الرابع قضاها وعليه فدية، ووجب رمي الحاج الجمار بنفسه إلا لعذر فيستتبع وعليه فدية.

ثالثاً - طواف الوداع

هو الطواف الذى يقوم به الآفاقي بعد تمام حجه وحال رجوعه إلى بلده، يسمى طواف الصّدر بفتح الدال وهو الطواف الذى يصدر بعده الحاج إلى بلده بعد طواف الإفاضة. وهذا الطواف مستحب عند مالك وداود وغيرهما ولا دم على تاركه، ولكنه يرجع له إن تذكره وهو بقرب مكة على مسافة ثمانية عشر ميلاً تقريباً، لأن سيدنا عمر رضى الله عنه رد رجلاً وهو بمر الظهران - اسم واد قرب مكة على مسافة ثمانية عشر ميلاً - ليطوف طواف الوداع، تعظيماً لشعائر الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحج ٣٢، والشعائر جمع شعيرة يعنى التى أشعرها الحاج وجعلها هدياً قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ مَجِلْهَا﴾ أى: مكان حل نحرها ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ الحج ٣٣، أى: عنده، فعظم البيت ومن تعظيمه وداعه قبل الخروج للسفر، ومن لم يودع البيت على قول أكثر العلماء فعليه دم.

ويكره كلام الطائف مع غيره، ويكثر الدعاء في طوافه، والأولى الدعاء بما ورد في القرآن والسنة كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ البقرة ٢٠١، وقوله

ﷺ: (إني آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبئت الذي أرسلت فاعفِر لي ما قدمت وما أخرت).

من المضمون

إشارات الطواف

ومعلوم أن البيت إنما يقصد لصاحبه، وأى محب قصد محبوبه في بيته فرجع من غير أن يفوز بمشاهدته، إنما جعلت المجاهدة للمشاهدة، والبيت إذا لم يكن فيه صاحبه كيف يقصد؟ قال بعض أهل المحبة:

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السُّرُجِ
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحُجَجِ

وقال غيره:

أمرٌ على ديارٍ ليلى أقبلُ ذا الجدارِ وذا الجدارِ
وما حُبُّ الديارِ شغفَنَ قلبي ولكن حُبُّ من سكنَ الدِّيَارِ

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۗ﴾ آل عمران ٩٦ و٩٧.

يعنى أن الله تعالى وضع لمن هم الناس عنده من أهل محبته، بيتاً في الأرض يزورونه سبحانه فيه، كما وضع بيتاً فوق السموات للعالم الأعلى يزورونه فيه. ومن منحه الله عيون

الروح ونظر عند البيت، يرى النور متصلاً من بيت الخليل للناس إلى البيت المعمور الموضوع للعالين فوق السموات.

وقوله تعالى: ﴿مُبَارَكًا﴾ آل عمران ٩٦، كما قال في الخبر عن موسى عليه السلام: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ النمل ٨.

﴿وَهُدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران ٩٦، من الملك والملكوت. وقوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ آل عمران ٩٧، لمن بين الله تعالى لهم من أهل المشاهدة. وقوله تعالى: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ آل عمران ٩٧، الروحاني والجسماني فمن دخل مقامه الجسماني آمن به من أعدائه داخل بدنه وخارجه، ومن دخل مقامه الروحاني آمن من الحجب بعد الشهود ومن البعد بعد القرب، ومن الرد بعد الإقبال، وساحت روحه في ملكوت الله الأعلى بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ آل عمران ٩٧.

وهناك إشارة غامضة في دخول المقام الروحاني لأهل مقام الإحسان والإيقان، أن من دخل هذا المقام منح الخلة، فنسأله دوام الشهود في الوجود والوصال من غير تفرقة، فأشهده الله تعالى بيته الخاص به المجمل بآثار الله لا بآثار عبده وخليلة وهو قلبه، فأراه ما فيه من عجائب القدرة وغرائب الحكمة وبدائع الصنع، فشهده بيتاً معموراً بربه، وعرشاً لاستواء الرحمن، ورأى صدر نفسه كرسياً لذى الجلال والإكرام، ولاحت له معاني صفاته في مرآة ذاته فوصل واتصل وقرب وما انفصل، ثم أحل المحل الأكبر، فرأى محيط السموات السبع والأرضين السبع بيتاً لله منوراً بنور الله، بمعنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور ٣٥.

فأحرم بروحه في حضرة الإطلاق، إحراماً لا حل بعده لأنه رأى ربه قبل كل شيء وبعد كل شيء وعند كل شيء وفي كل شيء.

قد اختطفه سبحانه وتعالى من نفسه وحسه وحجب عنه ما في وجهه (بضم الواو) وأشهده نور وجهه. ومحب أكرمه الله بتلك المشاهدة، فكان سبحانه معالم بين عينيه كيف لا يعتنى بفك رموز الحج ليرى نور الوجه في كل فج؟!.

وبيت مكة قد يتمكن الإنسان من الوصول إليه وقد يحرم، وهذا البيت معه أينما نزل وحيث حل، الجسم يطوف حول بيت الخليل في مكة، والحس يشهد آثار الخليل، والعقل يطوف حول نور الآيات البيئات وهي كعبة العاشقين، والروح تطوف حول قدس العزة والجبروت، ونفخة القدس يزوج بها في طوافها في نور اللاهوت حتى تقع العين على العين من غير رين ولا بين، كما قال أبو يزيد البسطامي: (حججتُ أولاً فرأيتُ البيتَ، ورأيتُ في الثانيةِ البيتَ وربَّ البيتِ، وفي الثالثةِ رأيتُ ربَّ البيتِ ولم أر البيتَ).

إشارات أعمال الطواف

يقبل الحجر الأسعد الذي يجعل الله له يوم القيامة لساناً وعينين، فيشهد لكل من قبله تجديداً لعهد يوم ﴿أَلَسْتُ﴾، الذي عاهدنا الله فيه على أن نفرده بالربوبية والقصد دون غيره، كما يقبل الرجل يمين متفضل عليه بأفضل النعم ملاحظاً كمال التنزيه في مقام التشبيه. وفي هذا المقام مقام الفناء والجمع أو السكر تقوى عيون الروح حتى تحجب عيني البصر، حتى يكون المقبل أو المستلم كأنه يرى ربه، قال عليه السلام: (الإحسانُ أن تعبدَ الله كأنك تراه).

فإذا قبل الحجر قوبل بالوجه، فأقبل بكليته على الله طائفاً بيته المعمور به سبحانه بروحه، وطائفاً بمقام الخليل الجسماني بجسمه وبمقام الخليل الروحاني بعقله، بجواذب العناية في مقام الشهود وستر الوجود، فنفذ من أقطار السموات والأرض بسلطان اليقين الحق، وكل شوط يقبل اليمين استحضار والحجر حضوراً، وينفذ من سماء فيكشف الحجاب بكل شوط عن جارحة من جوارحه المجترحة، حتى يسمع بالله ويبصر بالله ويتكلم بالله

ويبطش بالله، حتى يكون ربانياً فيقع في إهانة الرب ومهيمنته بعد الهيمان في أرقى مراتب الإحسان ومعارج مقامات الإيقان قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ الأنعام ٧٥، فإذا أتم السبع بأركانها في عيانه بعد بيانه، واجهه الله بوجهه العلى وناده: سل ما شئت تعطه، لديها يأنس فيقول: أنت يا رب محبوبى ووجهك الجميل مطلوبى. فينزل عليه السكينة فيحصل له البقاء بعد الفناء والصحو بعد السكر والفرق بعد الجمع، فيسأل الله بكلامه قائلاً: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ البقرة ٢٠١.

وهو المحبوب الذى يتكلم الله عنه وهو يتكلم عن الله، ولديها يدخل مقام الخلة روحاً وجسماً، وتشرف روحه على قدس الله الأعلى فيقف موقف العبادة بعد العبودية، فيجمله الله بجمال العبادة الخالصة لذاته.

فيصلى ركعتين مؤانساً على بساط المنادمة، ولديها يرى الله في قلبته ما دام في صلاته، فليهم في الركعة الأولى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ لزجر المنازعة النفسانية، وإطفاء الشعلة الإبليسية وإخماد جمر الفطر الحيوانية مفكراً ذاكراً. وفي الثانية بعد الفاتحة (سورة الإخلاص) لما فيها من صفات الأحدية والنزاهة، مستحضراً حاضراً ذاكراً مذكوراً. فإذا أتم صلاته وبلغ أمنيته أقبل بكليته على السعى بين الصفا والمروة، واقفاً فوق جبل الصفا ليتجلى له ربه، فيدك جبل بشريته ويصعق نفس شهوته وحظه، لديها يدعو بما شاء وينزل مهرولاً حتى يصل إلى المروة فيصعد عليها، ولديها تسكن نفسه إلى الله تعالى ويتجمل بجمال المروة فيسأل الله ما شاء، فإذا أتم حجه حصلت المشاهدة ولديها يكون الكون كله معراجة يقربه إلى الله تعالى، وإنما كانت المجاهدة للمشاهدة ومن جاهد غير ملاحظ للمشاهدة، ومسارع إلى نيلها غير ناظر إلى مجاهدته في نظير مشاهدته، أضع عمره سدى.

قال رضى الله عنه وأرضاه:

بسبع صفاتٍ من ضياء مصباحى
تُضِيءُ عَلَى رُوحِي مِنَ الْفِتَاحِ
ومن فوقِ عِرفَاتٍ يُنَاوِلُ رَاحِي
أحجُّ نَعَمٌ بِالرُّوحِ لَا الْأَشْبَاحِ
فأَقْرَبُهَا نُوراً بِلَا أَلْوَابِ
أحلُّ وَبَعْدَ الْحَلِّ صَحَّ فَلَاحِي
ومن أَقْبَلُوا بِالرُّوحِ لِلْفِتَاحِ
نَنَالُ بِهَا الْبُشْرَى وَكُلَّ نِجَاحِ

أطوفُ حِوَالِي كَعِبَةِ الْأَرْوَاحِ
فَأَشْهَدُ أَنْوَارَ التَّجَلَّى جَلِيَّةً
فَأَسْعَى إِلَى نَيْلِ الصِّفَا حَالَةَ الْوَفَا
وفى الْجَمْعِ بَعْدَ الْفَرَقِ فِي نُزْلِ الْمُنَى
رَمَيْتُ الْمَبَانِي وَالْمَعَانِي تُلْوَحُ لِي
يُفَكُّ نَعَمٌ إِحْرَامٌ كُونِي وَنَسْبَتِي
وهذا نَعَمٌ حَجُّ الْأَثْمَةِ مِنْ سَمَوَا
صَلَاةً عَلَى نُورِ الْقُلُوبِ حَبِيبِنَا

وقال رضى الله عنه وأرضاه:

تَحجُّ جَنَابَ الْقُدْسِ وَالنُّورِ سَاطِعُ
بِلَا حَيْطَةِ وَالْقَلْبِ لِلَّهِ خَاشِعُ
إِلَى اللَّهِ وَجْهِي وَهُوَ فِي الْقُرْبِ ضَارِعُ
بِنَفْسِي وَبِالْآفَاقِ وَهِيَ لَوَاعِعُ
إِلَى الْبَيْتِ وَجْهَتُهُ وَفِيهِ مَنَافِعُ
فَفِيهَا شَمُوسُ الْقُرْبِ ثُمَّ طَوَالِعُ
فَمَا ثُمَّ فِي الْإِطْلَاقِ عِنْدِي مَوَانِعُ
يَلُوحُ الضِّيَا مِنْ خَلَةِ الْحَبِّ سَاطِعُ
طَهُوراً صَفَاً وَاللَّهِ مُعْطٍ وَنَافِعُ
وفيه جَمَالُ الْوَجْهِ لِلْقَلْبِ لَامِعُ
بِهَا يَتَوَالَى فَضْلُهُ وَالْمَنَافِعُ

إِلَى حَضْرَةِ الْإِطْلَاقِ رُوحِي تَسَارِعُ
تُشَاهِدُ وَجْهَ الْحَقِّ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
أحجُّ إِلَى الْقُدْسِ الْعَلِيِّ مَوْجَّهًا
أشَاهِدُ أَنْوَارَ الْجَمِيلِ مُضِيئَةً
هُوَ الْحَجُّ حَجُّ الرُّوحِ وَالْجَسْمِ سَائِرُ
إِلَى حَضْرَةِ الْإِطْلَاقِ رُوحِي فَسَارِعِي
أَلَا وَاجِهِي الْوَجْهَ الْجَمِيلَ تَنَعَّمِي
وَجَسْمِي إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَسَارِعُنِ
تَشَاهِدُ آثَارَ الْخَلِيلِ بِهَا اشْرَبُنِ
أَحْنُ إِلَى حَجِّ بِهِ النُّورِ مَشْرِقُ
صَلَاةً عَلَى رُوحِ الْوُجُودِ مُحَمَّدٍ

وقال رضى الله عنه وأرضاه:

حول مجلى الكمالِ كان طَوَافِي
قبل كوني أطوفُ سبعاً بوصفى
غَيَّبْتَنِي (أَلَسْتُ) صار طَوَافِي
صرتُ أسعى مُهْرُولا لابتدائي
مقصدي العودُ للتجلى ووجهي
أيها الروحُ قبلَ كوني حَجَجْتِ
بعد كوني يا روحُ حجي فَعُودِي
هَرُولِي للصفاءِ فَحَوْلَ التجلى
جرديني من المحيطِ لأرقى
أنت يا هيكلِي بأفقِ المبانِي
خلَّ رُوحِي للقدسِ تسعى لِتَهْنَأِ
ذاك حجِّ (أهل العزائم) خُصُّوا
كعبةُ القومِ نورٌ مجلَى كمالِ
صلِّ رَبِّ عليّ الحبيبِ المُرَجِّجِي

وقال رضى الله عنه وأرضاه:

مالي أَحِنُّ إلى المحبوبِ قد ذكرا
ليبيك لبيك يا مذكورُ لى أملُ
واجهُ بوجهك يا مذكورُ ذا شجنِ
ذكرُ به تُستَرُّ الدنيا ولازمها
ليبيك حجي شهودُ الوجهِ مشرقةً
شوقاً كأنى به فى الذكرِ قد حَضرا
قلبي يُلبى ومن ذكراك قد عَمَرَا
مجلالك أملِي وعقلي بالها سَكِرَا
حتى أرى فى الصفا المذكورَ قد ظهرا
أنوارهُ فأرى بَرًّا ومقتدرا

رُوحى لديها حوالى قدس عزته
لبيك أسعى إلى نيل الصفا وبه
منى إليك ولا عرفات يجبنى
وكيف أرضى بوقفته وقد ظَهَرَتْ
لبيك رُوحى ترى الأنوارَ مشرقةً
وجهٌ تعالى بلا حد أشاهدهُ
هذا نَعَمُ حجٌ من نالوا محبتهُ
لبَّ وعن كونك الأدنى ولازمه
يا ظاهراً فوق عرفاتٍ بمن شهدوا
أشهدُ جمالك للأرواح تحى به

طافت طوافَ امرئ يدعوهُ مفتقرا
عيني ترى العينَ لا أرضا ولا مدرا
إنى عرفتُ نورَ الكشفِ لي سِترا
شمسُ التجلى وحالُ الفردِ كم قهرا
في أفق أعلى ولا شمسَ ولا قمرا
والرُوحُ تشهدُ ستَّاراً ومقتدرا
والذاتُ كَعَبَتُهُمُ والنورُ كم بهراً
عن حيطه سارعى فالوجهُ لي ظهرا
هب لي رضاك أنلنا القربَ والنظرا
أسبغ عطايك هب جدواك والذُّرا

حكمة الطواف

يقول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ الجاثية ١٣، ويقول سبحانه: ﴿اعْمَلُواْ ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ سبأ ١٣.

ومعلوم أن النعمة توجب الشكر على من تفضل الله عليه بها، والله جل جلاله تفضل علينا بما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، فأوجب علينا أن نشكره بقدر تسخير كل حقيقة من تلك الحقائق لنا، ولما كانت الصلاة جامعة لأنواع تسخير الملائكة والحيوانات والنباتات والجمادات، كما بينت ذلك في غير تلك الرسالة ولم يبق إلا العبادة بالطواف كالكواكب الدائرة حوالينا لنفعا وخيرنا، كان من شكر النعمة علينا بها أن نعبد الله تعالى بالنوع الذى سخرها لنا، فجعل الطواف حول الكعبة عبادة لله تعالى منا، شكراً له جل جلاله على تسخير الكواكب لنا.

وجعل السعى بين الصفا والمروة عبادة لله تعالى كشروقها وغروبها تسخييراً لنا من الله تعالى.

وجعل رمى الجمرات كالصواعق التى يرمى بها النفوس الشريرة.

وبذلك يكون الإنسان شاكراً لله تعالى، يعبده جل جلاله بأنواع سخر لنا بها جميع كونه، وله سبحانه وتعالى فيما منح من النعم وما وفق له من العبادة فهو الذى تفضل بالنعمة وأعان على العبادة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ النحل ١٨.

ولتلك الحكمة التى هى عبادة الله بنوع تسخير الأفلاك لنا أمر الله الخليل أن يدعو الناس بقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ الحج ٢٧.

قال الخليل: (وما يبلغ صوتى يا ربى؟! فقال: (عليك الأذان وعلى أن أسمع عبادى) وقال سبحانه: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ الحج ٢٧، أى: متصفين بصفات الرجلية الكاملة، التى من أخصها تفريد الله تعالى بالقصد والمسارعة إليه سبحانه مشاة فانيين عن الأسباب بمسبب الأسباب، وقال تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج ٢٧، أى: وعلى الأسباب يأتين، فنسب المجيء للابل دون الرجال وجعلهم نائين عنه بقوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج ٢٧، وقال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ الحج ٢٨، فجعل سبحانه الغاية الأخيرة هى المشاهدة بعد المجاهدة، ومن أحرم غافلاً وطاف محجوباً وسعى واقفاً عند حسه وحضر عرفات المعرفة جاهلاً، فقد أضاع زمانه، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

العنكبوت ٤٣.

فحظر على غير أهل العلم أن يعقلوا إشارات العلية، وحكمة أحكامه القدسية، وقد شنع الله تعالى على من لم يشهد آياته العلية فى الضرورى من الأكل والشرب فقال تعالى: ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ محمد ١٢.

فكيف لا يكون التشنيع أشد على قوم يقومون بعمل فرائضه التي افترضها لاهية قلوبهم مشغولة بغيره؟ وقد قدمت لك أن حكمة تلك الأحكام والأسرار التي أخفتها الآتار، لا تنبلج إلا بصحبة عارف ربانى منحه الله تعالى البيان. ومن جهل شيئاً عاداه فكيف يستحضره أو يراه؟!.

هذا ما يمكن أن يسطر على صفحات الأوراق من حكمة الطواف، وهناك مقامات أخرى تقع فيها العين على العين من غير بين ولا رين، وفيها يكون الأنس والصفاء بعد المجاهدة والوفا، ومن عرف شيئاً طلبه، ومن طلبه وجده، ومن وجده تحقق بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ الإخلاص، فإذا لم يكن له كفواً كيف يعدل عنه بغيره، أو يهمل ويقصد غيره أو ينسى ويذكر غيره؟!

وقد وضع الله بيته في مكة التي لا نبات بها ولا معادن ولا حيوانات، إشارة إلى أنه إنما يقصده من مجرد من تعلق قلبه بالمحظوظ والأغراض الدنيوية، وحتى يكون جيرانه سبحانه فرغت قلوبهم من التعلق بما يشغلها من زينة الحياة الدنيا، لتشنيعه سبحانه وتعالى على من شغلوا بالحياة الدنيا وزينتها بقوله تعالى: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾ يونس ٧، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ الرعد ٢٦.

الركن الثالث: السعى

أدلة وجوبه

السعى واجب وإن لم تصرح الآية الشريفة بوجوبه نصاً صريحاً، ودل على وجوبه عمله ﷺ ومواظبته عليه في كل نسك مع قوله ﷺ: (خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ) قال مالك بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة أم المؤمنين وأنا يومئذ حديث السن: أرايت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ البقرة ١٥٨، فما على الرجل شيء أن لا يطوف بهما فقالت عائشة: (كلا، لو كانت كما تقولون لكانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة ١٥٨.

بلغت أم المؤمنين من العلم مبلغاً فهمت ما لا يفهمه غيرها من منطوق الآية ومفهومها، وكان إذ ذاك هشام بن عروة لم يبلغ من السن مبلغاً يفهم سر الآية.

وقد ورد عن السيدة عائشة في هذا الحديث روايات أخرى غير رواية مالك، فقد ورد عن الزهري برواية مخالفة لمالك ومسلم قال: إنما كان ذلك لأن الأنصار كانوا يهلون في الجاهلية لصنمين على شط البحر، يقال لهما (إساف ونائلة) ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة ثم يخلقون، فلما جاء الإسلام كرهوا أن يطوفوا بينهما للذي كانوا يصنعونه في جاهليتهم، فمقتضاه أن تخرجهم إنما كان لئلا يفعلوا في الإسلام شيئاً فعلوه في الجاهلية، لأن الإسلام أبطل أفعالهم إلا ما أذن فيه الشارع فتركوه خشية أن يكون أبطله.

ويمكن أن لا يكون خلاف بين الروایتين فيقال: إن الأنصار كانوا فريقين، فريق يطوف بين الصفا والمروة في الجاهلية، وفريق لا يطوف، فجاءت الآية شفاء للمرضين فصار لا حرج على من لم يكن يطوف أن يطوف، ولا حرج على من كان يطوف أن يطوف، لأن الفريقين اشتركا في التوقف عن الطواف بينهما لأنه عمل الجاهلية.

والحقيقة أن الصنمين اللذين كان الأنصار يعبدونها كانا على الصفا والمروة، فكان صنم منهما جهة البحر.

وفي الصحيحين عن عاصم: قلنا لأنس أكنتم تكرهون السعى بين الصفا والمروة؟ قال: نعم لأنه كان من شعائر الجاهلية، فالآية وإن كانت لمنع الحرج عن الطائف إلا أن فريضته تقررّت بأسباب أخرى منها ما تقدم ومنها قوله سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ البقرة ١٩٦، ومعلوم أن الحج الفرض إحرام وسعى ووقوف بعرفة وطواف.

الآية إنما منعت الحرج من صدور الأنصار، ولو أن رجلاً ترك صلاة الظهر للغروب، فلا يقتضى أنها ليست فريضة وهو يعتقد أنها فريضة، وكذلك الأنصار كانوا يرون أن السعى بين الصفا والمروة فريضة، ولكن كانوا يتخرجون حتى يأذن الله سبحانه وتعالى.

وقد أجمع مالك والشافعي وابن حنبل على فريضة السعى، وقال أبو حنيفة وكثير من السلف: إنه واجب يعصى تاركه وعليه دم.

كيفية السعى

يمشى الساعى إذا نزل من على الصفا مشى العادة، حتى إذا وصل بطن الوادى أسرع مهرولا، وكذلك كان رسول الله ﷺ.

بسند مالك عن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر عليهما السلام عن جابر رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل من الصفا والمروة مشى، حتى إذا نصبت قدماه في بطن الوادى سعى حتى يخرج منه. ومعنى ذلك أنه كان يمشى كالعادة من الصفا إلى بطن الوادى ويسرع في بطن الوادى حتى ينتهى منه، فيمشى مشى العادة إلى المروة.

وفى حديث بسند الإمام الشافعى وأحمد والدارقطنى عن صفية بنت شيبة قالت: أخبرتنى نسوة من بنى عبد الدار أنهم رأين رسول الله ﷺ وإن مئزره ليدور من شدة السعى، ويقول: (اسعوا فإن الله كتب عليكم السعى).

من قدم السعى قبل الطواف

وبطل سعى من سعى قبل الطواف ورجع إلى الطواف ثم سعى، ولو خرج من مكة وجب عليه الرجوع إليها ليطوف ثم يسعى، ولو أنه لامس النساء فعليه أن يطوف ويسعى، لأن إتمام ما فسد واجب، وعليه أن يعتمر عمرة أخرى قضاء والهدى، وعليه الهدى فى القضاء جبراً.

عمل الساعى

يبدأ من الصفا إلى المروة ولا يكون صحيحاً إلا بعد طواف صحيح، والسعى للحج لمهل به فهو فريضة، وواجباته أولاً أن يكون بعد طواف واجب، وأن يتقدم على الوقوف بعرفة. والطواف الواجب يتحقق بمن أحرم بالحج مفرداً أو قارناً من الحل، فيجب عليه القدوم لمكة ويكون الطواف واجباً ولم يضق عليه الوقت، فمن أردف الحج على العمرة فى الحرم لا يجب عليه دخول مكة، فمن قدم سعى الفريضة قبل الوقوف بعرفة من غير أن تتوفر الشروط الثلاثة: وهى أن يهبل بالحج مفرداً من الحل، أو يهبل بالعمرة والحج من الحل، ولم يضق وقته،

أعاد السعى بعد طواف الإفاضة، المسمى بطواف الزيارة، مادام بمكة، فإن خرج من مكة فعليه دم، ولا قيود له لأنه لم يترك فريضة، وقد تقدم تفصيل السعى بيان جلي.

صيغ أدعية السعى

تقدم لنا قبل بيان الطواف أن السعى هو الركن الثالث بعد الإحرام، وذكرنا شروطه إذا كان فرضاً أن يكون بعد طواف فرض أو واجب، وبيننا متى يكون الطواف فرضاً أو واجباً، ومتى يكون سنة أو تطوعاً، وهنا نبين بعون الله تعالى السعى بالتفصيل ونبدأ السعى بالحديث الذي سنده يستشفى به، قال مالك عن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين، عن والده سيد شباب أهل الجنة وسيد الشهداء الحسين عليهم السلام، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول، حين خرج من المسجد - أى - بعد أن طاف وصلى ركعتين قرأ فيهما قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، كما في الحديث الطويل عن جابر عند مسلم - قال: ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب وهو يريد الصفا وهو يقول: (نبدأ بما بدأ الله به) فبدأ بالصفا. وفي مسلم دنا إلى الصفا قرأ: (البقرة ١٥٨) وفي رواية النسائي: (ابدأوا بما بدأ الله به) ولهذا فإجماع المسلمين البدء بالصفا عند السعى، ومن بدأ بالمروة أعاد الشوط. قال مالك عن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، عن أبيه الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن جابر بن عبد الله: (إن رسول الله صلوات الله عليه كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثاً يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) يصنع ذلك ثلاث مرات ويدعوا ويصنع على المروة مثل ذلك. هذه رواية مالك.

والذي أدركناه من الأحاديث التي رواها الأئمة الثقات: أن رسول الله ﷺ رقى على الصفا حتى رأى البيت فاستقبل القبلة يكبر ثلاثاً، ويقول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك

له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، إنما هو إله واحد، قل هو الله أحد) كما ورد في صحيح مسلم وأبى داود: ويرقى على المروة كما رقى على الصفا ويقول ما قاله على المروة، ومن أحب الأخذ بالسنة فالأمر واسع أمامه، وله أن يدعوا بما شاء مما تقتضيه ضرورياته أو كالياتة أو الشؤون الوقتية.

فإن رسول الله ﷺ يقول: (كل واحد من المسلمين على ثغر من ثغور الإسلام فإذا تهاون إخوانك فاشدد لئلاً يؤتى الإسلام من قبلك) فإذا وصلت أيها الحاج فصعدت فوق الصفا أو فوق المروة، ولحظت عينا رأسك بيت ربك، ثم شهدت عيون روحك جمال ربك ظاهرا في بيته فواجه وجه ربك بعيون، وروحك، وأصغ إليه بأذن روحك تسمعه يقول: أنا ربك قريب فسل تعطه. فإذا اطمأن قلبك بمواجهة ربك فارفع إليه الروح والقلب، وابسط راحتك خاشع الجسم خانع القلب متحققاً بمرتبك منه جل جلاله، فأنت العبد وهو الرب، ثم سح بفكرك في العالم الإسلامى وانظر حالته، واسأل ربك أن يجدد سنن نبيه وأن يعلى كلمته، وأن يهب لك الخير في الدنيا والآخرة لتكون عاملاً من عمال الله بمقتضى وقتك، ولا تقصر في سؤال ربك على طلب الدنيا وزخرفها، بل سله سبحانه وتعالى الحسنة في الدنيا والآخرة، ثم سله القرب منه والرضا عنه.

قال الإمام الليث في روايته هذا الحديث: ذكر الله وحمده، ودعا بما قدر له، أى: بعد صعوده على الصفا واقتصر على هذا. ويؤيد ذلك ما رواه مالك عن نافع أنه سمع عبد الله بن عمر وهو على الصفا يدعو فيقول: (اللهم إنك قلت: ادعوني أستجب لكم، وإنك لا تخلف الميعاد، وإنى أسألك كما هديتنى للإسلام أن لا تنزعه منى حتى تتوفانى وأنا سلم). وإن زاد: تميمياً لنعمتك العظيمة لأفوز بالجنة والنجاة من النار، فحسن هذا.

والدعاء أخص من العبادة، وقد دعا أولو العزم من الرسل، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ إبراهيم ٣٥، وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي

بِالصَّالِحِينَ ﴿يوسف ١٠١﴾، وقال رسول الله ﷺ في دعائه: (وإذا أردت بالناس فتنه فاقبضني إليك غير مفتون)، وإذا كان أولو العزم صلوات الله عليهم يدعون بهذه الحقائق، كيف بنا؟!.

من المضمون

إشارات السعي

قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ الأنبياء ١٠٤، وقد بدأ الإنسان نوراً، لأنه خلق الحقيقة الإنسانية قبل أن يخلق الكون، والإنسان أول مراد الله، وأول المراد آخر العمل، فخلق الله الكون على أكمل أبداع وأحكم صنع، لأن الحقيقة الإنسانية اقتضته، قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ المجاثية ١٣، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبِاطِنَهُ﴾ لقمان ٢٠.

للإنسان أطوار سبعة يتطور فيها طوراً بعد طور بدءاً وختماً فكان في حضرة العلم، ثم خصصته الإرادة، ثم كان حقيقة إنسانية أمام الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ الأعراف ١١، والله إنما يخاطب الموجود لا المعدوم، ثم تعلق به كن إيجاداً للحقيقة الإنسانية أولاً التي هي هو الإنسان قبل بروزه في الأعيان الكونية، ثم واثق الأنبياء لرسول الله ﷺ، ثم كان يوم ﴿الَّتِى بُرِّبِكُمْ﴾ الأعراف ١٧٢، ثم كان الخلاف بين الملائكة وبين الله تعالى، وكل هذه الأطوار قبل إبرازه في الكون المحسوس.

أما الأطوار السبعة الأخرى فكان الإنسان طيناً ثم كان نطفة ثم كان علقة فمضغة

فعظماً، فكسيت العظام لحماً، ثم أنشأه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

ثم جعل فوقنا سبع طرائق لا يصل الواصل إلى الله سبحانه إلا بمجاورتها، وهى الحظوظ الشهوانية، ثم حب الدنيا، ثم الآخرة، ثم الرؤية، ثم الشهود، ثم الفناء عن كل ذلك يتركه، ثم الفناء عن الترك بترك الترك، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْغِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾﴾ المؤمنون ١٢ حتى ١٤.

فالسعى ابتداء بالصفة وهو فاتحة إيجاد الله الإنسان كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ التين ٤ ، ثم ينقل إلى المروة بحسب التطورات التى قدرها الله للإنسان، حتى يختم أطواره بالصفة إعادة إلى الحق، لا فرق بين المؤمن والكافر، فإن الإنسان إذا قامت قيامته أيقن بالحق فالمؤمن ينفعه إيمانه السابق، وغيره لا ينتفع بيقينه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴿١٥٨﴾﴾ الأنعام ١٥٨.

فالساعى الذى لم يفقه حكمة السعى، ولم يتفضل الله عليه بشهود تلك الأسرار، سعى ولكن بين الجبلين، فكما بدئ الإنسان نوراً يتطور فى تلك الدار الدنيا بين شهود وحجاب، وقرب وبعد، وطاعة ومعصية، وذكر ونسيان، وحضور وغفلة، حتى يختم الله بما سبق له فى أم كتابه، ويوم القيامة تكشف الحجب وترفع الستائر فيظهر الحق جلياً وعندها يفرح المؤمنون ويحزن الكافرون.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن سبقت لهم الحسنى، وأن ينعم عيون أرواحنا بشهود حكمة أحكام الحج وأنوار آياته البينات، إنه مجيب الدعاء رب العالمين.

وللسعى أسرار غامضة، فإن الساعى إذا ارتقى فوق الصفا استحضر وقوف الكليم فوق

طور سيناء، وحصل له الهيمن شوقاً إلى سماع الكلام أو رؤية الجمال، فلاحته له سواطع أنوار الجمال والجلال، فسعى ولهاناً ومشى بسكينة مُشاهداً، وهرول هائماً ليظفر بمراده الذي أفردته بالقصد وحببيه الذي فارق كل شيء شوقاً إلى نيل وصاله، وعندها يكون الحج وجداً لا تواجداً، أو عوداً للبدء لا تجدداً. ومن ألقى السمع وهو شهيد سمع وشهد، ولا يسمع الساعى بأذنى رأسه ولا يشهد بعينى رأسه لأن السماع والشهادة لو كانتا بالجوارح الظاهرة لسمع الكل وشهد، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

الركن الرابع: الوقوف بعرفة

الحضور بعرفة

قلت: الحضور بعرفة، بدل الوقوف بعرفة، لأن المراد وجود الحاج فوق عرفة سواء أكان جالساً أو مضطجعاً أو راكباً أو ماراً مادام أمكنه الوجود على عرفة جزءاً من النهار يوم عرفة وجزءاً من الليل ليلة الأضحى، والحضور نهاراً واجب عند المالكية وفريضة عند أبي حنيفة وبعض الأئمة، والركن عند المالكية الوقوف ليلاً، ويكفي الحضور في أى جزء من أجزاء ليلة عيد الأضحى ولو قبل الفجر بقدر إمساك الصائم، ويجب في هذا الركن الاستقرار فوق الجبل بقدر الجلسة بين السجدين بعد الغروب، لا فرق بين القائم فوق الجب والجالس والراكب، فإن نفر عند الغروب مباشرة فعليه دم.

ولا يضر الخطأ في تعيين الليلة، فإن وقفوا في الليلة الحادية عشرة معتقدين أنها الليلة العاشرة أجزاءهم ذلك، ولا يبطل الحج بترك الوقوف نهاراً إذا تعذر، ويجبر بالدم لأنه واجب عند المالكية.

ومن السنة في يوم عرفة خطبتان بعد الزوال بمسجد عرفة كالجمعة يعلمهم الخطيب بهما ما عليهم من المناسك وذلك في يوم عرفة قبل أذان الظهر، ثم يصلى الظهر والعصر جمع تقديم وقصر بغير المقيمين بعرفة، ثم ينفرون بعد الصلاة إلى جبل الرحمة على طهارة مستقبلين البيت حال الوقوف، داعين متضرعين لغروب الشمس ثم يدفعون لدفع الإمام بسكينة ووقار وخشوع لله تعالى ورحمة بأهل الموقف حتى لا تحصل مضرة لزوار الله في بيته.

ثم يجمع في مزدلفة بين المغرب والعشاء جمع تأخير مع قصر العشاء، ويلتقط منها الجمرات قبل صلاة الصبح لأنه يبيت بها في ضيافة الله تعالى ويصلى بها الصبح.

ويفر إلى المشعر الحرام ليقف به إلى قرب طلوع الشمس فيسير إلى منى لرمى جمار العقبة، وعند مروره ببطن محسر يسرع.

فإذا رمى الجمار حلق أو قصر وذبح أو نحر هدية وبذلك يحل الإحلال الأصغر، فلا يحرم عليه إلا الصيد والنساء، وفي قول: الطيب.

ويسرع إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة وبه حل له الصيد والنساء والطيب، ويرجع إلى منى في اليوم الحادى عشر ليقوم بها الأيام الثلاثة المعدودات، ولرمى الجمرات الثلاثة.

مندوبات الوقوف

الأولى وقوف بعد صلاة الظهرين (أى صلاة الظهر والعصر جمع تقديم) بجبل الرحمة - وهو مكان شرقى عرفة عند القبة المسماة قبة أبينا آدم - وندب الوضوء، وندب الوقوف مع الناس وندب الركوب أو الوقوف إلا لتعب فيجلس، وندب صرف الأنفاس فى هذا الوقت والمحل بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى لنيل خيرى الدنيا والآخرة، لأنها لحظات الإجابة وأنفاس الإقبال من الله على عبده وتجليه بالغفور التواب المحسن الوهاب.

فإذا غربت الشمس يدفع إلى مزدلفة، ويجمع بين العشاءين جمع تأخير ويصلى العشاء قصرًا إلا أهل مزدلفة، والأولى صلاة المغرب والعشاء فى هذه الليلة بمزدلفة، وأعادهما من قدمها قبل مزدلفة ندباً لغير عذر، فيجمعهما المعذور فى أى محل، كل ذلك لمن وقف مع الناس. ومن انفرد بوقوفه عن الإمام والناس، صلاهما فى وقتها ووجب النزول بمزدلفة بقدر حط الرحال وصلاة العشاءين والأكل والشرب، ومن لم ينزل فعليه التقرب إلى الله بذبيحة، وندب البيات بها وارتحاله منها بغسل بعد صلاة الصبح.

وندب الوقوف بالمشعر الحرام - محل بين مزدلفة ومنى - يقف مستقبلاً البيت سائلاً الله تعالى المغفرة حامداً شاكراً فاكراً إلى الإسفار، ويسرع السير في بطن محسر - وهو واد بين المشعر الحرام ومنى - فإذا وصل إلى العقبة وعليها سور من البناء يعينها رمى جمرة العقبة ندباً في هذا المكان والوقت.

رمى الجمرات واجب

ويتعين أن يكون بسبع حصيات يلتفتها من المزدلفة للعقبة ويسرع برميها ولو كان راكباً وبتمام رميها حل له كل شيء إلا النساء والصيد، قيل: والطيب، وندب أن يكبر عند رمي كل حصاة وتتابع الرمي من غير فصل، وندب لقطها بنفسه من أى أرض إلا جمرة العقبة فمن المزدلفة، وجاز أن يلتقطها له غيره.

وبعد العقبة يوم النحر يحلق ويذبح، والحلق واجب، والنحر واجب ويندب أن يكون عقب العقبة إلى ما قبل زوال الشمس، وصح تقصير الرجل، والمرأة تقصر فقط، ولا يجوز حلق البعض من الرأس، ولا يجزئ تقصير بعض شعر الرجل وإن أجزأ عند بعض المذاهب كمسح جزء من الرأس أو بعضها.

والمالكية لا يصلون العيد بمنى ولا بالمسجد الحرام بل يتوجهون إلى مكة لطواف الإفاضة بعد الحلق والتقصير، وبه حصل الإحلال الأكبر فحلت له زوجته والصيد والطيب، إذا كان قدم سعى الفريضة قبل الوقوف، فإن لم يكن قدمه تعين أن يسعى بعد ركعتي الطواف، وعند توجهه للسعى يستلم الحجر الأسعد ويخرج للصفا، وبتمام السعى يحل له كل شيء.

ويرجع إلى منى ليقيم بها الأيام المعدودات ويرمى الجمرات الثلاث، فيبدأ بالأولى ثم الوسطى ثم العقبة، وذلك في يوم الحادى عشر، ويرمى في اليوم الثانى عشر والثالث عشر،

فيكون ما رماه من الأحجار سبعين حجراً، ثلاثة أيام يرمى كل جمرة بسبع حصيات يكبر عند رمى كل حصاة ويرميها بنفسه.

الوقوف حال الرمي

ليس من السنة الوقوف عند رمى جمرة العقبة بل يرميها مسرعاً، ويمضى إلى المناسك الأخرى من حلق وذبح وطواف، ويقف عند الجمرتين الأولى والوسطى بقدر ما يقرأ سورة البقرة، يكبر عند رمى كل حصاة وهو السنة، ولا شيء عليه عند الأئمة إن ترك التكبير إلا الثوري، وقال: يطعم فإن جبر بدم فأحب إلى.

ويقف عند الجمرتين بعد العقبة بقدر سورة البقرة مكبراً مسبحاً حامداً داعياً الله بما شاء.

عن مالك بن أنس قال: إنه بلغه أن عمر بن الخطاب كان يقف عند الجمرتين الأوليين وقوفاً طويلاً حتى يمل القائم.

وعن مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يقف عند الجمرتين الأوليين يكبر الله ويسبحه ويحمده ويدعو الله سبحانه وتعالى ولا يقف عند جمرة العقبة.

وعن مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يكبر عند رمى الجمرة كلما رمى حصاة، والسنة المشى في رمى الجمار في اليوم الثاني والثالث.

المشى في الجمار

فيمشون ذاهبين وراجعين، إلا جمرة العقبة في يوم النحر. والجمرة الأولى في الاصطلاح

هى ما تلى منى فيبدأ بها الإنسان فى كل يوم ويختم بالعقبة، وإنما بدئ بالعقبة فى يوم النحر لأنها تلى بطن محسر، وجاز الركوب فى رمى الجمرات لمريض أو ضعيف، فقد رماها معاوية رضى الله عنه راكباً. وقد اختصت جمرة العقبة بأمر أربعة: بكونها يوم النحر، وأن لا يوقف عندها، ويرميها ضحى، وترمى من أسفلها ندباً. ولا يعيد من رمى أو سعى بين الصفا والمروة غير متوضئ ولكن لا يعتمد ذلك.

وقت رمى الجمرتين الأولتين

وقتها الزوال من اليوم الحادى عشر، فمن رمى قبل الزوال أعاد. ويستحب أن يكون الرمى قبل صلاة الظهر وهذا بإجماع الأئمة رضوان الله عليهم، وعلى من تجمل بهديهم واقتفى أثرهم وسارع للتشبه بهم.

من المضمون

إشارات الوقوف

قبل أن نشرح إشارات الوقوف، نبين أحوال المسافرين إلى الله تعالى هجرة إلى البيت لمشاهدة ربه جل وعلا وفهم رموز الحج.

يبدأ المسافر من بيته إلى الحج بأن يسافر أولاً من معاصيه ومخالفاته للشريعة إلى الطاعات والخضوع لسلطان الشرع، حتى يكون كمال قال الله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم ٦.

فإذا تحقق سفره من المعصية إلى الطاعة، ومن المخالفة إلى التسليم للشرع أشبه عالم الملكوت، فكوشف بأسرارها، لديها ينتقل في كل مرحلة يقطعها من الأرض إلى مقام من مقامات القرب، فينتقل من التوبة مثلاً إلى الخوف، فالرجاء، فالحب، فالجمع، فالفرق، فالسكر، فالصحو، فالغيبية، فالمحضور، حتى يحل في مقام الفناء.

فيحرم تجريداً من نفسه ومن الدنيا والآخرة، كما أحرم يتجريده من المحيط والمخيطة والنساء والصيد والطيب، فإذا لم يتخل عن دواعي بشريته ومقتضيات نفسه البهيمية والشهوانية ولوازم هواه وحظه الإبليسى - كما تجرد من المحيط والمخيطة - فليس بمحرم، ولكنه مقلد جاهل بحكمة أحكام الله، ولا يكون محرماً حقاً إلا إذا تجرد من كل تلك المعاني.

فإذا صح إحرامه زكت نفسه فجانست العالم الأعلى قرباً من الله تعالى، فجمله الله تعالى بالجمال الموسوى، ومنحه سمعاً يسمع به من الله، فيسمع دعاء الله إياه إلى دار سلامه وبيت مواجهته، ليقف على أعراف المعرفة، وعرفة الشوق إلى الله تعالى، فيقول وجداً لا تواجداً:

(لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك) فيشهد عند التلبية مشاهد المستجيب لله المحاضر معه، فيقوى وجدّه وينمو شوقه ويفر للقرب، ويقهره حاله فيكرر التلبية مشاهداً مستجيباً لله ومجيباً.

فإذا استجاب الحاج لله سامعاً بالله تعالى ومبصراً بالله تعالى وصل إلى عرفات المعرفة، فوقف على طور المناجاة وقفة حضور مع الله غيبة عما سواه فقربه وأدناه، وتنزل له جل جلاله وناجاه بعد زوال شمس الكون وإشراق شمس المكوّن، فحضر مع الله وذكر، ولبس حلة العبودية وشكر، وابتهل متضرعاً وخشع قلبه خانعاً. فأنسه الله على بساط منادمته، وأطلق لسانه بالدعاء، وعمر قلبه بالرضا، فكان وهو فوق عرفات كأنه على طور سينا المناجاة، ممنوحاً هيّان الشوق إلى رؤية ربه، وكان بين جواذب شهوده في بيته الذي هو مول وجهه إليه في وقفته، وبين نار الاضطلام إلى دار السلام.

ثم يندفع عند غروب شمس أفقه المبين بشروق شمس أفقه الأعلى، فاراً إلى ربه حساً ومعنى، فوصل إلى مزدلفة الزلفى، ونازعتة نفسه إلى حظّه وهواه فأفرد وجه ربه بالقصد دون غيره، وكانت الزلفى عنده أن يقصد الله وحده، ومن وصل إلى مزدلفة فلم يفز بالزلفى فهو بالمنزلة السفلى، ومن صلى بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً رفعه الله قدراً ففاز بالجمعية الكبرى الخاصة مع الله والله معه، وسارع في وقت تنزل الحق جل جلاله سحراً، فجمع حصى جمرة العقبة ليرمى من قلبه نسبه وحسبه، وتجرد من محيط الأسوار ومخيط الرسوم الهيكلية، ولديها ينفجر فجر نور الحقائق فيصلى صلاة الصبح بقلب المخلص الصادق.

ويدفع مسارعاً ليقترحم العقبة، متبرئاً من نسبة جوارحه المجترحة إليه فيرمي جمرة العقبة ويرمى مع كل حصة جارحة من السبعة، وهى السمع والبصر والشم والذوق واللمس والبطن والفرج.

فإذا رماها قفلت أبواب النيران وفتحت أبواب الجنة، فدعاه ربه لزيارته، فأسرع إلى إزالة أخلاقه البشرية بحلق رأسه، ونحر نفسه الأمانة بالسوء بنحر هديه، فكان كما قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ الأنعام ١٢٢.

فلما صار حياً بحى يسعى نوره أمامه وعن يمينه، ويسمع ربه يدعوه إليه، ففر إلى الكعبة مسارعاً فطاف تشبيهاً بالحافين حول عرش الرحمن بالكعبة المطهرة، فلحظ سره جمال ربه جل جلاله مشرقاً في فضاء التنزيه من غير تأويل ولا تشبيه، فقبل منه ربه وأقبل عليه وأكرمه بكل شوط من السبع بمواجهته عند الحجر الأسعد روحاً وجسماً، فقبل الحجر بفمه الحسى، وشهد اليمنى بنفخته القدسية فدعا وابتهل، ثم طاف الثانى فتنزل له سبحانه عن الركن اليمانى فانجذب قلبه شوقاً إلى مولاه، فمس الركن الثانى متقرباً ودعا موقناً بالإجابة، وأتم سبعة على هذا النمط، فلما أن أتم طوافه واجهه ربه مواجهة المحسن المتفضل غافر الذنب وقابل التوب.

فلما أن واجهه سبحانه بعد تمام سبعة، أحب أن تكون تلك المواجهة وهو قائم يصلى فى مقام الخليل فصلى ركعتين انمحي بها البين من البين حتى وقعت العين على العين فى حصون التنزيه.

فاشتاق إلى الموانسة فى مقام الصفا، فقبل الحجر وسارع مهرولاً حتى صعد فوق الصفا، فتنزل له ربه فابتهل ودعا ونزل ساعياً، حتى إذا وصل إلى وسط الوادى اشتد به الهيام فهول هرولة المشتاق، فلما جاوز الوادى حصلت له السكنينة فسعى سعى المؤدب، حتى وصل إلى المروة وصعد بعناية الله مرتفعاً ودعا ربه متضعاً، فبسط له بساط الأانس ودعاه إلى الصفا بعد الوفا، فرجع مسرعاً حتى بلغ مقام الصفا فزال الجفا وحل الوفا، وأتم سعيه بين الصفا والمروة فأكرمه مولاه وبنزاهة ناجاه.

وأمر بالعودة إلى ضيافته إلى منى بلوغ المنى ونيل الهنا، فرجع في روض الإطلاق وحلة الإحلال، وصار الحق جل جلاله معالم بين عينيه، لا يغيب إذا غاب الغافلون، ولا يحجب إذا حجب الجاهلون، متنعمًا في روض المشاهدة مدة الأيام المعدودات بعد المجاهدة مدة الأيام المعلومات، فلما دخل رياض الضيافة بمنى زال العنا، واضمحت الدنيا في عينه وترك أمانيه الباطلة.

وقام في اليوم الثانى فرمى الجمرات بعد صلاة الظهر ودعا الله فى الجمرة الأولى والثانية وختم بالثالثة.

وفى اليوم الثالث من يوم الأضحى تقرب إلى الله بما يحبه جل جلاله، ورمى الجمرات بعد الظهر داعياً تائباً منيباً مستغفراً فى غيبة عن الدنيا ومقتضياتها، فكشف عنه الحجاب فعلم أن الكون كله بيت الله تعالى، وتحقق أن قلبه هو بيت الله المعمور بآثاره العلية وأنواره الربانية، وهو البيت الذى لا يفارقه وإن فارقه بيت مكة.

فأسرع إلى البيت مودعاً معتقداً أن ربه معه حيث ولى وجهه، ورجع إلى أهله بالمغفرة والثوبة، حاضراً مع ربه لا يغيب، مراقباً عظمته وجلاله لا يغيب، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الباب الثالث

الفدية

الفدية وأنواعها

الفدية أنواعها ثلاثة على التخيير كما بين الله تعالى: ﴿مَنْ صِيَامًا أَوْ صَدَقَةً أَوْ نُسْكَ﴾ البقرة ١٩٦.

أسباب الفدية

يوجب الفدية كل عمل يترفه به الإنسان متنعمًا، أو يزيل عن الإنسان أذى يضره حرمه الله عليه فأزاله لغير ضرورة، وسنفضل ذلك، وقد تعدد الفدية بتعدد موجبها.

موجبات الفدية

تقدم إحرام المرأة في وجهها وكفيها، فمما يوجب الفدية على المرأة لبس محيط بكفها إلا الخاتم فإنه جائز لبسه، ويحرم عليها ستر وجهها إلا لخوف الفتنة، فيجوز لها ستره بخرقه تضعها على رأسها، وتسدها على وجهها من غير ربط كربط البرقع ولا غرز بدبوس، فإن ربطته أو غرزته فعليها الفدية.

موجب الفدية على الرجل

تجب الفدية على الرجل إن لبس محيطًا لغير عذر ولو بزر أو بعقد، وحرم عليه لبس المحيط كالعباءة والحبة ولو لم يدخل يده بكمه، ما لم يجعلها إزاراً أو يجعل عاليها سافلها

فإنه جائز ولا فدية فيه. ويوجب الفدية ستر الرأس. ولما كان إحرام الرجل في رأسه وقدميه جاز له أن يلبس الخفين لفقد النعلين إذا أزال ما على عقبه، ولا شيء عليه كما تقدم.

ما لا فدية فيه

لا فدية على من تظلل ببناء وغيره مما ليس ببناء كالخيمة والمحفة وغيرها الموضوعة على الجمل. والقاعدة في ذلك كل ما أظله مما هو ثابت كالشجرة والخيمة، أو ما هو مثبت بالأحبال كالحامل أو المظلة الثابتة في السفر أو إقامة لا فدية عليه.

لا فدية عليه إذا دفع مطراً أو شديد حر عن رأسه ووجهه بأن يتظلل بثوب أو غيره، بشرط أن يكون مرتفعاً عنه وهذا خلاف الأولى.

لا فدية على من حمل على رأسه ما لا بد له منه ولاخوته أو لدوابه، ولو حمل تلك الأمتعة بأجرة ليستعين على الحج.

لا فدية فيما يحيط بوسطه من الهميون المسمى بالكمز، المصنوع لحفظ نفقته ومن معه ولو من رفقاءه مادام فيه مال خاص به، وهي رخصة لحفظ المال، ولا يصح الجواز إلا إذا كان بسيور في أبزيم لا بعقد وربط، ويجب أن يكون مشدوداً على الجلد لا على الثوب.

لا فدية على من غير ثوبى إحرامه أو غسلها بالماء، وعلاج الدمامل والحبوب في الجسم جائز ولو سال ما فيها بشق أو معالجة بالمراهم.

ولا حرج على من احتاج إلى حك جلده أن يحكه، أو احتاج إلى حجامه أو قصد فله أن يفعل عند المقتضى بدون عصابة، فمن احتاج إلى عصب عضو من أعضائه فعليه فدية ولو

عصب لضرورة. وربط النفقة على الذراع والفتخ مكره بعد جواز ربطها على الوسط، فمن يتألم من وسطه جاز له ربطها على غيره، ولما كانت أظفار اليدين والرجلين من أعضاء الإحرام فيحرم إزالتها وكذلك الشعر إلا لضرورة، ومعلوم أن جمال الحاج التخوشن وترك الترفه حتى يكون الحاج أشعث أغبر، فيحرم عليه إزالة أوساخ البدن التي بإزالتها يزول معها الشعر كما يحرم مس الطيب.

فدية الصيد

عن أبي الزبير أن عمر بن الخطاب قضى في الضبع بكبش، وفي الغزال بعنز، وفي الأرنب بعناق (أنثى المعز قبل كمال الحول) وفي اليربوع بجفرة (الأنثى من ولد الضأن).

وعن محمد بن سيرين أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب فقال: إني أجريت أنا وصاحب لي فرسين نستبق إلى ثغرة ثنية (طريق في الجبل) فأصبنا ظيباً ونحن محرمان فما ترى؟؟ فقال عمر رضى الله عنه لرجل على جنبه: تعال حتى أحكم أنا وأنت، قال: فحكما عليه بعنز.

وقال مالك عن هشام بن عورة: إن أباه كان يقول: في البقرة من الوحش بقرة، وفي الشاة من الطباء شاة. وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب إنه كان يقول: في حمام مكة إذا قتل (شاه) قال مالك في الرجل من أهل مكة يحرم بالحج أو العمرة وفي بيته فراخ حمام مكة فيغلق عليها فتموت، فقال: أرى بأن يفدى ذلك عن كل فرخ (بشاة).

وقال مالك: لم أزل أرى أن في النعام إذا قتلها المحرم بدنة. ورأى أن في بيضها عشر ثمن البدنة.

وفي كل واحد من النسور أو العقبان أو البزة أو الرخم فدية، وفي صغاره مثل ما يكون في

كباره.

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين إنى أصبت جزاءات بسوطى وأنا محرم، فقال له عمر: أطمع قبضة من طعام.

عن كعب بن عجرة أنه كان مع رسول الله ﷺ محرماً فأذاه القمل في رأسه، فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق رأسه، وقال: (صم ثلاثة أيام أو أطمع ستة مساكين مُدَّينِ (المُدُّ: مكيال عند العرب ومقداره رطل وثلث بالعراقى). مُدَّينِ لكل إنسان، أو انسكُ بشاه... أى ذلك أجزاً)

قال مالك: لا يصلح للمحرم أن ينتف من شعره شيئاً ولا يحلقه ولا يقصره حتى يحل إلا أن يصيبه في رأسه فعليه فدية، كما ذكره الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ البقرة ١٩٦. ولا يصلح أن يقلم أظافره ولا يقتل قملة ولا يطرحها من رأسه إلى الأرض ولا من جلده ولا من ثوبه، فإن طرحها من جلده أو من ثوبه، فليطعم حفنة من طعام.

قال مالك: من نتف شعراً من أنفه أو إبطه، أو طلى جسده بنورة أو يحلق عن شجة رأسه لضرورة، أو يحلق قفاه لموضع المحاجم وهو محرم ناسياً أو جاهلاً، إن فعل شيئاً من ذلك فعليه الفدية في ذلك كله. ولا ينبغي له أن يحلق موضع المحاجم، ومن جهل فحلق رأسه قبل أن يرمى الجمرة افتدى.

وقال رضى الله عنه فى مشاهد عرفه والحج:

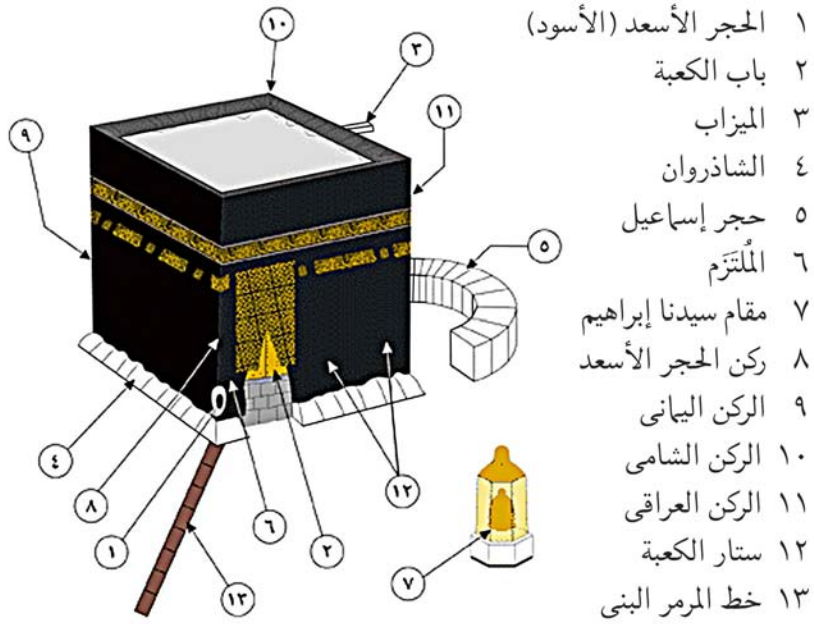
من بعدها أرمى جمارَ الإحتجاب
فجمعتُ فى جمعٍ لأفنى فى الرّحاب
فأشاهدُ الفجرَ المضىءَ بلا سحاب
ورميْتُها فى عقبه بالإنسَاب
رتب الوُجودِ ومن رآنى عنه غاب
بيقينِ حقٍّ بعد فهمى للخطاب
متقرباً من بعدِ نحرى بالمتاب
بحقيقتى أنى ابتداءً من تُراب
فجذبتُ وهاناً إلى رشفِ الشراب
متنزلاً فى بيته العالى المهاب
وهى اليمينُ ظهوره لا بارتياب
ويلوحُ لى الوجهُ العلى بلا نقاب
بتنزل المعطى لقد صحَّ المتاب
وتماها السبعونَ حُسنى فى المآب
ولقد رميتُ أنا بأحجارِ الهضاب
وإلى الوصالِ برمىِ نفسى ثم طاب
وبها فإحرامى استتارى بالسحاب
نسبى القريبُ أنا العبيدُ ولا اغتراب
وشهدتِنى العبدَ الموله للجناب
وتركتُ تركى كيف مئلى للشواب

عرفاتُ ختمٌ وهى بدءُ الإقتراب
فأفرُّ بعدَ شهودها متشوقا
فأبيتُ مزدلفاً لزلفى حُطوتى
وبها جمعتُ جمارَ حجى والهوى
فأحلُّ بالإطلاقِ من حظِّ ومن
ونحرتُ هدياً بعد رمىِ ظلامتى
وذبحتُ نفسى وهى لى أماره
وحلقتُ أخلاقى الذميمة موقناً
فألأح لى وجهاً علياً مشرقاً
لزيارتى ربي تنزه ظاهراً
وبه أطوفُ مقبلاً رمزَ الهدى
فيفكُّ رمزُ حقيقتى فى طوفتى
وإلى منى عودى لبدئى أشرفتُ
وبها مقاماتى رميتُ بسبعة
وهى الحجارة رمزُ كنزِ حقيقتى
فشهدتُ أسماءَ الجمالِ بعدها
فدخلتُ فى الإطلاقِ حلى رحلتى
وأحلَّ لى سعىً إليه فصح لى
فقربتُ منه به بقرب قربة
وحججته من بعد حجى بيته

خاتمة

اللهم لك الحمد ولك الشكر، أتقرب إلى حضرتك العلية بما أنت أهله من العفو والإحسان والفضل، أن تصلى وتسلم على حبيبي ومصطفاك وآله أن تقبل من عبدك ما تقرب به إليك، فإنه إذا كان خيراً فممنك وبك ولك سبحانك، وإن كان غير ذلك فممنى بعجلتى فاغفر لى يا إلهى عجلتى، وتقبل منى ما هو منك لك سبحانك وانفعنى وأولادى وإخوانى، وأهدنا صراطك المستقيم، واجعلنا أنصاراً للسنة والكتاب يا رب العالمين.

خديم الفقراء
محمد ماضى أبو العزائم



الفهرس

صفحة

١ مقدمة

الباب الأول: الحج وآدابه

٢ تعريف الحج

الاستطاعة على الحج

آداب من عزم على الحج

الفرض والواجب فى الحج

الباب الثانى: أركان الحج

٥ الركن الأول: الإحرام

مىقات الإحرام المكانى

مىقات الإحرام الزمانى

تعريف الإحرام

تفصیل بمجمل الإحرام

إحرام الصبى والمجنون

لباس المحرم

آداب الإحرام

تجدد التلبىة

دخول مكة

دخول الحائض مكة

قصيدة

١٢ من المصنون

فى الغسل

في الإهلال

في التلبية

في التجرد من المحيط والمحيط

في دخول البيت

قصائد

الركن الثاني: الطواف ١٧

كيفية الطواف

الأركان التي تستلم في الطواف

طواف الحائض

تقبيل الحجر الأسعد في الاستلام

السهو في الطواف

ركعتا الطواف

من سها في العدد بعد صلاة الركعتين

أنواع الطواف

أولاً - طواف القدوم

ثانياً - طواف الإفاضة

وقت طواف الإفاضة والرمي

ثالثاً - طواف الوداع

من المضمون ٢٤

إشارات الطواف

إشارات أعمال الطواف

قصائد

حكمة الطواف

الركن الثالث: السعي ٣٣

أدلة وجوبه

كيفية السعي

من قدم السعي قبل الطواف

عمل الساعي

صبيغ أدعية السعى	
من المضمون	
إشارات السعى	
٤١	الركن الرابع: الوقوف بعرفة
	الحضور بعرفة
	مندوبات الوقوف
	رمى الجمرات واجب
	الوقوف حال الرمي
	المشي في الجمار
	وقت رمي الجمرتين الأولين
٤٦	من المضمون
	إشارات الوقوف

الباب الثالث: الفدية

٥٠	الفدية وأنواعها
	أسباب الفدية
	موجبات الفدية
	موجب الفدية على الرجل
	ما لا فدية فيه
	فدية الصيد
	قصيدة
	الخاتمة



www.abul-azayem.com